الدكتور كمال مظهر أحمد

دراسة تاريخية: أ.م.د.أحمد ناجي

آداب الكوفة

[1]الدكتور كمال مظهر أحمد , دراسة تاريخية:

أ.م.د.أحمد ناجي / آداب الكوفة

مقدمة :

يعد الدكتور كمال مظهر أحمد المؤرخ والمثقف الكوردي , واحداً من أهم المؤرخين ممن مثلوا الجيل الثاني من المؤرخين العراقيي ن الرواد في تاريخه المعاصر . آمن بعبرة التاريخ , وبحكم الشعوب , امتلك منهجاً صارماً في تتبع معلوماته التاريخية , وفي التعامل معها . وهو أول دارس من الشرق الأوسط , نال شهادة دكتوراه العلوم (ناووك) السوفييتية . له عشرات المؤلفات في تأريخ العراق واللكورد، نشرت باللغات العربية والكوردية والروسية، من بينها : ((كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى)) و((الطبقة العاملة العراقية : التكون وبدايات التحرك)) و((صفحات من تأريخ العراق المعاصر)) وآخرها ((كركوك وتوابعها : حكم التأريخ والضمير)) الصادر في العام 2004. لقد استطاع كمال مظهر أحمد أن يؤسس , ومن خلال ما أثرى به المكتبة العربية من كتابات تندرج في باب الفكر السياسي والتاريخي , مدرسة تاريخية تضم كل الأصوات الداعية لاعتماد صفة الوضوح وإبراز الحقيقة في الطرح التاريخي[2] .

مدخل معرفي

على وفق ما حصل في العراق أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين , من متغيرات طرأت على البنى التحتية للمجتمع عموماً , عقب بقائه لأكثر من بضعة قرون يأن تحت وطأة التخلف العثماني , برزت فئة مثقفة في العراق , يمكن القول,بأنها حصيلة لتفاعل أكثر من عامل . وقد عنيت تلك النخبة بمحاولة تغير ما الفته من واقع مترد . وبشكل أو بآخر دفعت المعنيين بهذا الأمر إلى الالتفات صوب ما حصل من متغيرات إقليمية إبان تلك المرحلة . ولا شك إن مسألة المشروطية في إيران وإعادة العمل بالدستور في الدولة العثمانية , وما كانت عليه مؤسسات هذه الدولة من مستوى بائس, وما شهدته بعد ذلك تركيا من تغيير جوهري في كيانها لا سيما وإن مصطفى كمال أتاتورك , جاء وهو يحمل في جعبة ما يحمل من تحدي ث للدولة , فكانت العلمانية بديلاً لما أقرته الخلافة العثمانية من آلية لحياة الدولة . وليس بخافٍ على أحد ما شهدته تركيا من طفرة نوعية في بنيتها عقب خروجها

---

[1] **للمزيد عن شخصية الدكتور كمال مظهر أحمد وكتابته للتاريخ , ينظر : حسن ضاري الدليمي, المنهج التاريخي عند الدكتور كمال مظهر أحمد , رسالة ماجستير , كلية التربية, جامعة بابل , 2006**

[2] تصدى الدكتور كمال مظهر لتلك الموضوعات , فأصدر كتابه القيم دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر , فضلاً عن إشرافه على العديد من الرسائل والأطاريح الجامعية التي تناولت موضوعة إيران وعلاقاتها الدولية .

من ربقة الهيمنة اللاهوتية [3] العثمانية , فكان طبيعياً وأمام هذا التحول النوعي لدولة مجاورة , أن تتحفز الفئة المثقفة من أبناء البلد على الاندراج في هذه العملية من التغيير , فنادت بضرورة التعليم , وتوجه أبناء الطبقة الميسورة إلى الالتحاق بالمدارس التركية والغربية , وازداد اهتمام الدولة بالتعليم في العراق , وازداد معها نسبة المتعلمين وتطورت المناهج وبدأ التوجه نحو البعثات العلمية إلى خارج العراق . وكانت نتيجة هذا التفاعل , ظهور طبقة مثقفة أثرّت بشكل فاعل في مجريات الحياة في العراق , بما فيها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . وفي هذه الحال فأن العراق , يكون قد دخل مرحلة جديدة من الخضوع لدولة استعمارية إلا أنها أكثر انفتاحاً واشد وطأة . ولعل هذا الأمر , كان بداية لمرحلة تغيير في بنية الحياة في العراق , لاسيما وأنها شهدت تدفق رؤوس الأموال بتنامٍ واضح في السوق العراقية , وهو ما مهد لبروز ما عرف بالبرجوازية الوطنية وتطور العلاقات الرأسمالية , إلى جانب النمو الملحوظ للفئة المثقفة التي أسهمت البرجوازية الرأسمالية المنظمة , في إشراكها بتنظيم الإنتاج . مما مهد إلى ظهور الانتلجنسيا البرجوازية [4] , بوصفها قوة ذات تأثير واضح في المجتمع من خلال صياغة أفكار تلك الطبقة وتوظيف فلسفتها على ارض الواقع . والى ذلك , شكلت تلك التحركات من لدن المثقفين العراقيين حركة منظِرة ومؤثرة في الواقع الاجتماعي للشعب, كان من ضمن انجازاتها , التفاعل مع سياسة الحكم والتأثير في بنية المجتمع في ضوء المتغيرات الاقتصادية . ومن خلال تبوء تلك الفئة المثقفة لمراكز ومناصب حساسة في الدولة , فقد انسحب تأثير هذه المواقع على الحياة العلمية للشعب , وهو ما يمكن تلمسه عقب سنة 1932 , حين أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم , وبروزه كدولة مستقلة , يحظى بعلاقات مع دول العالم الأخرى , مكنته من الاطلاع على ما يدور من تحديث في بنيتها العلمية والتربوية . ففي ثلاثينيات القرن العشرين , أرسيت الدعائم الأساسية لمؤسسات التعليم العالي في العراق , حين أعيد افتتاح دار للمعلمين العالية سنة 1935 وتطوير الدراسة فيها وما تبع ذلك من صدور نظام رقم 43 لسنة 1938 , إذ أصبحت الدراسة بموجب

---

[3] اعتمدنا مصطلح ـ لاهوت ـ لتقريب المعنى بين ما كانت عليه المؤسسة الدينية العثمانية من تأثير في سياسة الدولة , وبين ما كانت تعنيه المؤسسة الدينية في مرحلة العصور الوسطى

[4] الأنتلجنسيا : حسب تعريف معجم أكسفورد لعلم الاجتماع فهو" طبقة المتعلمين بصورة عامة في أيّ من المجتمعات, وإلى المثقفين والمعنيين بشؤون الفكر على وجه التحديد. وقد حصر تاريخيا استخدام هذا المصطلح ونوقشت أصوله أيضا، وظهر استخدامه بصورة مبكرة في القرن التاسع عشر خاصة في روسيا وبولونيا. بينما كطبقة اجتماعية اختلفت في البلدين لأسباب تاريخية جلية" وطبقة الانتلجنسيا (intelligentsia) هي الفئة المتعلمة الواعية المدركة بالضرورة لمصالح أمتها وبلدها. وهي التي تسعى إلى فرض المشروعات الحضارية والتي يؤطرها إنتاج أو استقدام التكنولوجيا من جهة وإقرار الديمقراطية في البلد والتي تكفل العدالة الاجتماعية وتقود إلى تقدمه. أي الطبقة المثقفة , والتي نعتقد أنها تكاد أن تقترب من معنى مصطلح " الطبقة الوسطى" , ينظر كمال مظهر أحمد , صفحات من تاريخ العراق المعاصر , دراسات تحليلية , بغداد , 1987 , ص30

هذا النظام أربع سنوات . وفي هذه السنة , صدرت لائحة لتنظيم الدراسة في كلية الصيدلة , بينما صدر أول نظام لكلية الهندسة سنة 1924 . وبعد خمس سنوات تأسست كلية الآداب والعلوم وضمت الفروع العربية وآدابها والاجتماعيات والفلسفة والطبيعيات والرياضيات . وراحت تنمو بخطوات واسعة لاسيما في مجال تنويع الدراسة . ففي سنة 1951 , افتتح معهد للآثار والحضارة بالتعاون مع مديرية الآثار القديمة , وأُلحق المعهد بعد ذلك بالكلية . وبعد ان تجمعت لدى وزارة المعارف , مقترحات منطقية من مختلف الجهات المعنية بتأسيس جامعة في بغداد بصيغتها النهائية , أقرت لائحة المقترحات تلك , وتم قبولها من قبل المجلس في 25 أيار 1946 . وكان من بين التوصيات المهمة التي تقدم بها المستر مورغن A. E. Morgan . رئيس القسم التربوي في المعهد البريطاني ضمن تقريره في حزيران 1947 بخصوص وضع خطة للتعليم الجامعي في العراق , أن تكون الخطوة الأولى التي يجب أن تتخذ في تأسيس الجامعة , هو إنشاء كلية الآداب من أقسام علمية وعلوم مجردة , وبالفعل تم تأسيس ما عرف حينها بكلية الآداب والعلوم , والتي ما لبثت أن انفصلت لتستقل كل واحدة عن بعضها . وفي أيلول سنة 1956 شرع قانون جامعة بغداد إلى الوجود . ونصت المادة الخامسة من القانون(60)الخاص بالتعليم العالي , أن تعنى الجامعة بالدراسات العليا وبتشجيع البحث العلمي والعمل على نشر الدراسات العلمية والأدبية والفنية والاهتمام بالفضائل الخلقية وبالحضارة العربية والإسلامية [5]. ومن الواضح أن هذا التوجه من لدن الدولة , كان حافزاً لمن امتلك عقلية علمية , للاندفاع نحو تفعيل إمكاناته العلمية وبالتالي العمل على توظيف تلك الإمكانات لتأسيس شخصية علمية أكاديمية , مثلت بوجودها عطاءاً ثراً للأجيال .فتأسست في العراق إبان عهده الملكي مروراً بالعهد الجمهوري , مدرسة تاريخية قوامها علماء ومفكرين كان من بين أهم انجازاتهم العلمية بروز جيل متحفز , أخذ على عهدته التنظير للأجيال التالية له , والإيتاء بمنهج علمي أسهم في ترصين الحركة العلمية في العراق , وكان من بين هؤلاء الدكتور كمال مظهر أحمد الذي كغيره ممن عني بدراسة للتاريخ في ذلك الوقت , كان يستشعر , بل ويتحسس القصور الذي اكتنف الباحثين في التصدي لموضوعات سياسية ساخنة , من خلال معالجات فكرية وآراء جريئة من شأنها أن جسدت حقيقة التاريخ بوضوح , كبديل عن طرح تلك الحقائق مغلفة بطروحات ومفاهيم يكتنفها الغموض . فما شهده الوطن العربي بل والعالم ، في النصف الأخير من القرن العشرين من متغيرات سياسية ، شملت نظم الحكم ، وظهور تيارات فكرية جديدة ، وسياسات عمدت إلى إيجاد مواقع وطنية بعيدة عن التكتلات الدولية ، أدى بالدراسات التاريخية أن تأخذ منحى ينسجم مع ظروف تلك المرحلة . فالنظرة الماضوية , كانت تخفي وراءها طرحاً سياسياً غير معلن والبحث في العصور القديمة ، يعني تهيئة الحاضر من خلال احترام الماضي ، ودراسة العهد الإسلامي

---

[5] للمزيد عن هذا الموضوع : ينظر جمال أسد مزعل , نظام التعليم في العراق , جامعة الموصل , 1990 , ص88

يعني التعريف بالفضيلة الموجبة الالتزام بها من قبل أبناء هذا الجيل ، بينما تقدم دراسة التاريخ الحديث والمعاصر، فهماً وطرحاً مقبولاً لتاريخ المجتمع والدولة الوطنية في العراق ، وهكذا لبثت موضوعات تلك الحقب ، بعيدة عن التناول الفكري لها ، بوصفها لا تشكل سوى حقباً استوفت مدلولاتها ، لا تقدم شيئاً يمكن أن تفيد من الطروحات السياسية والاجتماعية المعاصرة , ليبرز مؤرخنا الدكتور كمال مظهر أحمد , واحداً من أهم من اعتمد هذا النمط من الكتابات التاريخية .

الولادة والنشأة العلمية :

ينتمي الدكتور كمال مظهر احمد إلى عائلة متوسطة مهنية , فجده الأكبر ضابط في الجيش العثماني ,الأمر الذي أدى إلى تنقل عائلته بين أكثر من محافظة , كان آخرها العاصمة بغداد . ولد الدكتور كمال مظهر احمد[6] الحاج رسول في قرية (اخجلر) وهي ناحية تابعة للواء كركوك سنة 1937 , وقدر له أن يمضي جل حياته في بغداد . وعن تاريخ ولادته يقول : في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي , لم يعر الأهالي اهتماما واضحاً بقضية ميلاد أبنائهم , وعلى هذا الأساس كتب أنه من مواليد السليمانية , إلا أن واقع الحال يقول غير ذلك , فقد ولد في (اخجلر) وهي من ناحية تابعة للواء (كركوك) . أما والده , فكان ضابط شرطة وكانت وظيفته في (اخجلر) , ومن ذلك ولد في هذه المنطقة لا في السليمانية , ولكن جرت العادة هكذا حيث في الوثائق الرسمية يكتب دائماً انه من مواليد (السليمانية) , لتواجد معظم مساكن أسرته في هذه المدينة[7] . تلقى تعليمه الأولي والثانوي في السليمانية . وما أن أكمل دراسته الإعدادية حتى قاده حسه التاريخي إلى قراءة المزيد من الكتب التاريخية ، ووجد ضالته في بعض الكتب التي كانت تحتفظ بها الأسرة ، التي لاحظت شغفه هذا ، وأرادت أن توجهه وجهة علمية ، فكانت أن أهدت إليه مجموعة من الكتب , لتعد بمثابة انطلاقة له في باب التثقيف الذاتي . وقد صادف أن انتقل مع عائلته إلى بغداد بحكم وظيفة والده واكتشف طريقه إلى شارع المتنبي وسوق السراي ، حيث تعرف على المكتبات الغنية ،وهو بذلك يشترك مع الدكتور عماد عبد السلام في نشأتهما الفكرية [8] , وبخاصة ارتيادهما لمكتبة المثنى لصاحبها قاسم الرجب ، ومكتبة إبراهيم ألأعظمي في مدخل سوق السراي ، ومكتبة البيان لعلي الخاقاني ، والمكتبة العصرية لمحمود القاموسى ، في وسط شارع المتنبي تقريباً . ومن هذه المكتبات وغيرها أخذت تنمو مكتبته الشخصية ، التي ضمت في ذلك العمر المبكر، الكثير من كتب التاريخ والعلوم الأخرى وبلغات مختلفة[9] .

---

[6] عرضت رسالة الدليمي المشار إليها , صورة عن هوية الأحوال المدنية للدكتور كمال .

[7] من أوراقه الخاصة , المصدر السابق

[8] انظر كتابنا عماد عبد السلام رؤوف , أربعون سنة في دراسة التاريخ وكتابته , النجف , 2005

[9] كمال مظهر أحمد , مقابلة معه , كلية الآداب , نيسان 2002

وفي سنة 1959 , تخرج كمال مظهر في قسم التاريخ كلية التربية(كلية المعلمين العالية) إذ حصل على بكالوريوس تاريخ بمرتبة الشرف . وعمل مدرساً لمدة سنة واحدة , بعد تخرجه من أيلول وحتى آذار 1960 . وراح يسعى إلى مواصلة دراسته العليا , إذ وجد نفسه مضطراً للبحث عن فرصة جديدة للدراسة ، فسافر هذه المرة إلى الاتحاد السوفيتي وانتسب إلى معهد الاستشراق ـ أكاديمية العلوم السوفيتية ـ واختار التاريخ الحديث مجالاً لدراسته ، فحصل على درجة دكتوراه في التاريخ الحديث سنة 1963 عن أطروحته (كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى 1914-1918). وتعرف هناك على أساتذة أجلاء . وسعياً منه لبناء شخصيته العلمية , التحق وبعد ست سنوات بمعهد الأستشراق ـ أكاديمية العلوم السوفيتية ـ مرة أخرى ليحصل سنة 1969 على شهادة الدكتوراه ناووك علوم (D. S . C) , ليعد بذلك , أول طالب عربي وعراقي يحصل على هذه الشهادة العلمية العالية .

عاد بعد ذلك إلى العراق ، ليعمل تدريسياً في قسم التاريخ كلية الآداب / جامعة بغداد منذ تموز سنة 1970. وفي 29 تموز من نفس السنة , حصل على لقب مدرس , وبعد ثلاث سنوات حصل على لقب أستاذ مساعد , تحديداً في الأول من نيسان سنة 1973 , وعلى درجة أستاذ سنة 1981 . وبسب نشاطه العلمي المميز أعيرت خدماته إلى المجمع العلمي الكوردي وشغل منصب الأمين العام ومساعد رئيس المجمع للشؤون العلمية بين سنتي 1971 و1975 . وقد ترجم له الأستاذ حميد المطبعي[10] .

من المؤثرات الفكرية في شخصية كمال مظهر أحمد :

لطالما أكد كمال مظهر على أهمية ودور المكان على شخصيته العلمية إذ يقول : للمكان والزمان دور كبير في كل شئ في أبحاث التاريخ والتكوين الفكري لشخصية الباحث في التاريخ . فمدينة السليمانية ـ وهي محل ولادته ـ ورثت الإمارة (البابانية) التي كانت من الإمارات الكوردية المهمة والتي تمتعت بنوع من الاستقلالية داخل الإمبراطورية العثمانية . والعديد من الرحالة تحدثوا عن هذه الإمارة . فمدينة السليمانية , كانت دائماً تتميز بالحيوية وهي مدينة الشعراء والمفكرين والحركة الثورية , فهذا بطبيعة الحال لابد أن ينعكس على التكوين الفكري لأي شخص كان . سيما وإذا كان هذا الشخص قد استبق عمره في التعلق بالتاريخ وما يروى فيه من روايات الماضيين . فقد عشق كمال مظهر دراسة التاريخ منذ البواكير الأولى في حياته ,حين كان طالباً في الصف الثاني من الدراسة المتوسطة , إذ تأثر إلى حد بعيد بمدرس التاريخ في مدرسته , محمد حوييس . وكان يومياً يلقي مادة التاريخ بأسلوب مشوق للغاية . فكان أول أستاذ تأثر به , وكانت تلك بداية ميوله للتاريخ . ونحن نعلم أن من أحب شيء , أبدع فيه إلى جانب ذلك كانت الكتب المدرسية في ذلك الوقت على مستوى رفيع للغاية . على سبيل المثال في الصف الخامس ثانوي كانت المدارس تدرس كتاب التاريخ الحديث

---

[10] موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين (الجزء الأول ، بغداد ، 1995) ,ص173

للمرحومين د. زكي صالح [11] والدكتور مجيد خدوري [12] . ويقول كمال انه كتاب رائع ومشوق إلى اخطر درجة ، والأكثر من ذلك انه في عام 1929 وحين ألف المرحوم علي حيدر سليمان[13] , كتاب عن تأريخ المدنية الأوربية في الصف الثالث متوسط . ولأهميته ، فأن وزارة الثقافة والإعلام أعادت طبع هذا الكتاب المقرر في العشرينات للصف الثالث المتوسط للقراء بصورة عامة دون الإشارة إلى كونه مقرراً للمدرسة المتوسطة وهذا ما جعل من كمال عاشقاً لدراسة التاريخ . والى جانب , فقد تتلمذ مؤرخنا على يد نخبة من الأساتذة الأجلاء في مرحلة دراسته الجامعية , فكان له بالغ الأثر في بناء شخصيته العلمية .

من سماته :

اتصف كمال بخاصية الرجل المتواضع والمتسامح , فهو يقول :أنا إنسان متواضع وينبغي على الإنسان أن لا يتحدث عن نفسه , ومع ذلك اعتز بتواضعي وبحبي لاختصاصي وانزوائي في صومعتي - إشارة إلى مكتبته في داره - وإنتاجي العلمي الذي يقدم الحقيقة التاريخية . انه بلا شك يعرف ذاته أكثر من غيره , وهو دليل على ثقته بنفسه . وفي سنوات التسعينيات , انتقل الدكتور كمال إلى كلية التربية بسبب تقاطعه مع الدكتور نزار ألحديثي عميد كلية الآداب وقتذاك , وكان سبب هذا التقاطع , يعود إلى إصرار الدكتور كمال على الدفاع عن طلبته , والسعي لبلاغ حقوقهم العلمية!! . وراح يلقي محاضرات على طلبة الدراسات العليا , فكان تواجده في تلك الكلية فرصة نادرة لطلبة الدراسات في كلية التربية , وكذا الحال

---

[11] من المؤرخين العراقيين البارزين , عمل أستاذا في التاريخ الحديث للمدة 1941 - 1961 , ورئيساً لقسم العلوم الاجتماعية في دار المعلمين العالية في بغداد . ثم رئيس قسم التاريخ بعد انفصاله عن باقي العلوم الاجتماعية وأصبح رئيساً لقسم التاريخ الموحد لجامعة بغداد . قدم استقالته ليتفرغ للتأليف . ومما يذكر انه عمل زميل بحاثة سنة 1954 - 1955 في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك . وأستاذا زائراً 1960 - 1961 في جامعتي أكسفورد وكمبردج . له عدد من المؤلفات , منها مقدمة في تاريخ العراق المعاصر , بريطانيا والعراق حتى عام 1914, رحلتي إلى الهند , موجز تاريخ العراق , مهند زكي صالح - ولده, مقابلة معه , 10 كانون ثاني / 1994, كلية الآداب , جامعة بغداد

[12] للمزيد عن هذه الشخصية ينظر كتابنا : مجيد خدوري , حياته , آثاره , منهجه في كتابة التاريخ , بغداد , 2001

[13] ولد في راوندوز , وهو من عائلة كردية معروفة , أكمل دراسته الثانوية في الموصل عام 1926 وكان الأول في أول امتحان للبكلوريا . أنهى دراسته الجامعية في الجامعة الأميركية في بيروت 1930 . وحاز على شهادته في العلوم السياسية بدرجة شرف كما كان الأول بين خريجي تلك السنة واختارته ألجامعه لإلقاء خطاب التخرج في الاحتفال الذي أقيم بتلك المناسبة . عمل مدرسا للتاريخ الثانوي المركزية , ودار المعلمين ببغداد , حيث الف كتابه في ذلك العام في تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة . ثم موظفاً في وزارة المعارف ووزارتي الداخلية والخارجية . واعتقل بعد الحرب العراقية سنة 1941 . انتخب نائباً عن راوندوز أكثر من مرة . واشغل وزارات الشؤون الاجتماعية والإشغال والمواصلات والاقتصاد والأعمار وسفارات بون وواشنطن وبيرن وروما , علاوة على قيامه بتمثيل بلاده كسفير غير مقيم في كل من هولندة وكندا وكوبا وكان رئيساً أو نائباً لرئيس الوفد العراقي في اجتماعات الأمم المتحدة لخمس سنوات , انظر كتابه : تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة , ط1, بغداد , صفحة الغلاف

للدراسات الأولية للالتقاء به والتزود من علمه ونادراً ما تجد مكاناً شاغراً في غرفته التي كان يلقي فيها محاضراته . ولم اشعر طوال تواجدي إلى جانبه , بأنه يتململ أو يتغاضى أو يعزف عن إجابة أحد . وفي ذات مرة , وبعد مناقشة أطروحتي وكان حينذاك رئيساً للجنة المناقشة , مررت عليه , فوجدت في غرفته طالبة دكتوراه وهي صحفية, وقد أثقلت في تساؤلاتها , بل وشعرت أنها كانت تحاول أن تستدرج الدكتور إلى موضوع يخص الكرد وموقفهم من السلطة وقتذاك , ولأنه واضح في طرحه , فقد فاجأ تلك الباحثة باستماعه الكلي لها , وقبل ان يجيبها , صارحها بأنه يتحسس منها شيئاً مريباً , فإذا كان ذلك حقيقة , نصحها بأن تعزف عنه , لأنها باحثة في التاريخ , وهذا لا يجيز لها أن تكون بهذا المستوى من التعامل مع الحقائق التاريخية . وأعلمها أن الصحفية البارعة , هي من تضع في حسابها قبل أن تتعامل مع أي موضوع , أنها معنية بكشف الحقائق , لا بتزييفها . وأخيراً تمنى أن يكون تصوره بغير محله . وما كان أمام تلك الباحثة والصحفية المغرضة , سوى الانسحاب , وبهمس اعتذرت من أستاذها الذي دعاها لزيارته مرة أخرى , ولكن بحلةٍ أخرى أيضا . ومن جانب آخر , كان مؤرخنا يؤكد باستمرار على أهمية الأخوة العربية الكوردية ليس على مستوى الوطن فحسب وإنما على المستوى القومي . ومما كان يصرح به باستمرار أن الكورد كسبوا بعد دخولهم الدين الإسلامي الشيء الكثير فلقد تحولوا إلى عنصر مهم . من عناصر بناء الحضارة العربية الإسلامية والشواهد في هذا المضمار أكثر من أن تحصى , ومنها مثلا جيش صلاح الدين الأيوبي ، فالمؤرخ عماد الدين الكاتب والمؤرخ ابن الأثير الذي قلما يلتقي مع عماد الدين كاتب صلاح الدين الأيوبي في هكذا قضايا يؤكد أن نحو نصف جيش صلاح الدين الأيوبي كانوا من المتطوعين الكورد . وهناك شواهد أخرى كثيرة في هذا السياق[14]... [[[[[ومع اعتزازنا بقوة شعور مؤرخنا بقضيته , بوصفه كردي صاحب قضية, نعتقد أن ذلك لا يجيز انجراره القوي وراء الروايات التي تتحدث عن أحقية الكورد وظلاماتهم , بحيث , سوغ ومن منطلق هذه الظلامات إعطاء حقوق وامتيازات كثيرة , من دون إشراك القوميات الأخرى المكونة لمدينة كركوك فيها[15]]]]]].

نتاجه العلمي , عرض وتحليل:

مع أدائه المثمر لواجباته العلمية , اغتنم فرصة وجوده في أوسع مؤسسة علمية في العراق وهي جامعة بغداد , بما تحويه من مكتبات عريقة ، فأفاد من الكتب والمخطوطات الكثيرة الموجودة في مكتبة هذه المؤسسة . وفي هذا السياق , ألقى محاضرات على طلبة دراسة البكالوريو س في المراحل الثانية والثالثة والرابعة في مواد تاريخ العراق المعاصر وتأريخ الكرد وتاريخ تركيا الحديث والمعاصر وتاريخ إيران الحديث والمعاصر ومادة منهج البحث التاريخي في كلية الآداب جامعة بغداد . وعلى الرغم من بُعد بعض هذه المواد من اختصاصه الدقيق

---

[14] كمال مظهر احمد , مقابلة معه , المصدر السابق

[15] **انظر على سبيل المثال كتابه : كركوك وتوابعها , حكم التأريخ والضمير) , ج1, مطبعة رينوين , اقليم كردستان , 2004**

، فإنه اغتنم فرصة تدريسه إياها ليوسع من نطاق ثقافته التاريخية . والى ذلك , فمن الضروري الإشارة إلى أن كمال مظهر , لم يتحدد في نشاطه العلمي وسعيه , على التدريس في جامعة بغداد , إنما امتد عطائه إلى ابعد من ذلك , ليلقي محاضرات على طلبة الدراسات العليا (دبلوم عالي وماجستير ودكتوراه) في معهد شعوب الشرقين الأدنى والأوسط التابع لأكاديمية علوم أذربيجان السوفيتية ومعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية والمعهد العالي للدراسات القومية وألأشتراكية بالجامعة المستنصرية ومعهد التاريخ والتراث العلمي العربي وكلية الدفاع الوطني بجامعة البكر في مواد دراسات في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ودراسات في التكوين الاجتماعي والتطور الاقتصادي في العراق أواخر القرن التاسع عشر ـ بداية القرن العشرين وخصائص العلاقات الدولية المعاصرة والفكر الأوروبي في عصر النهضة ومنهج البحث التاريخي والفكر النازي والفاشي وأصول التحليل التاريخي وخصائص تاريخ إيران الحديث والمعاصر وإيران في العهد القاجاري ودراسات في تاريخ تركيا الحديث والمعاصر وغيرها .

أما عن إسهاماته الفاعلة في مجال المؤتمرات والندوات العلمية , سواء في داخل العراق أو خارجه , فقد ألقى محاضرات عامة في شتى الموضوعات التاريخية والثقافية المختلفة , وحضر جميع المؤتمرات والندوات التاريخية التي عقدت في موسكو وباكو أثناء دراسته في الاتحاد السوفيتي في المدة بين عامي 1960 و1970 وشارك في معظم المؤتمرات التي أقامتها الكليات الإنسانية التابعة للجامعات العراقية , وفي العديد من المؤسسات العلمية والثقافية مثل " اتحاد المؤرخين العرب " و "اتحاد الأدباء في العراق" و" جمعية حقوق الإنسان " و" جمعية الثقافة الكوردية " و "دار الثقافة والنشر الكوردية " و" نادي الأرمن " و " الجمعية الأرمينية الخيرية " ومركز آشور بانيبال الثقافي ونادي صلاح الدين ومؤسسة عبد الحميد شومان الأردنية , وغيرها . وبذلك , يكون الدكتور وبمشاركاته تلك , قد أسس لنفسه شخصية علمية , حققت حضوراً واضحاً في الوسط العلمي والأكاديمي , مما شكل تواجده في أي ندوة أو مؤتمر علمي يعد , ثقلاً لتلك التظاهرات العلمية . وعلى مدى سنوات تواجدي في كلية التربية / ابن رشد , كطالب في الدراسات الأولية (1984- 1988) ومن ثم العليا (1993- 1999), وحتى بعد تخرجي في هذه الكلية , لم انقطع عن التواصل مع أساتذتي , وكنت ارقب حينها عن كثب الدكتور كمال , لا سيما مشاركاته المثمرة في المؤتمرات العلمية , وكأنه كتب على نفسه , أن يسجل حضوراً في معظم تلك المؤتمرات التي تعقدها الجامعات العراقية , لاسيما جامعتي المستنصرية وبغداد . وهو أمر اعتاد عليه مسبقاً , إذ أعاد لنا ذكرى أول مشاركة له في مؤتمر علمي . ففي آذار سنة 1973 عقد المؤتمر الدولي للتاريخ في بغداد , ووجهت له الدعوة , ليس باحثاً مشاركاً , إنما مقرراً للجنة الامبريالية وحركات التحرر الوطني , وعضواً في لجنة صياغة مقررات المؤتمر , إلى جانب اشتراكه ببحث ألقاه في المؤتمر بعنوان " الأبعاد والملامح الأساسية لحركة التحرر الوطني للشعب الكوردي ". وفي تموز من السنة نفسها عقد في باريس مؤتمر الاستشراق الدولي

, فاشترك في بحث حمل في طياته هموم شعبه وهواجس خوف شديدة على تراثه الحضاري المهدد بالضياع , حين كانت السياسة وقتذاك ترسم للتاريخ كيف يدّون , وقد كان عنوان بحثه " حول مشكلات دراسة تأريخ الشعب الكوردي , ومهمات المجمع العلمي الكوردي " وهي دعوة كان يوجهها للرواد من المثقفين الكرد أن يأخذوا بزمام المبادرة , في حفظ تراث شعبهم , وتدوين تاريخهم . ورغبة منه في أن يسهم المثقف في قضية العرب المركزية وقتذاك , فقد اشترك في الندوة التي أقامها مركز الدراسات الفلسطينية لمناقشة واقع حال الحركة الصهيونية , وذلك في نيسان سنة 1974 . واشترك ببحث في المؤتمر الدولي لأفرام وحنين بن اسحق ألعبادي الذي عقد في بغداد سنة 1975 . وحين ساءت العلاقات بين العراق وإيران بعد تسلم صدام حسين للسلطة في بغداد سنة 1979 وإعلان الحرب بين البلدين بعد عام واحد , تفاعلت الساحة السياسية في العراق , ولأنها كانت مؤثرة على بقية جوانب الحياة للعراقيين , بل وراسمة ومخططة لما يجب أن تصير إليه الأمور في هذا البلد,فقد عقدت ندوة حملت عنوان " إيران الحاضر والمستقبل " نظمها المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية في نيسان 1981 . ووجهت الدعوة إلى الدكتور كمال , فاشترك ببحثين علميين اتصفا بالحيادية والعلمية الدقيقة , هما " المؤسسة الدينية في إيران " والتي لم يمض على ظهورها على الساحة السياسية بتلك القوة سوى أشهر , وهي مؤسسة لم تعرف أبعادها السياسة بعد . أما البحث الآخر , فهو " العلاقات الإيرانية السوفيتية " وهو بيان لأخطر ما يواجه الشرق الأوسط من تحديات التدخل الأميركي في منطقة الخليج . وبعد سنة من تاريخ انعقاد هذا المؤتمر نظم المعهد نفسه , ندوة حملت عنوان " تركيا الحاضر والمستقبل " اشترك فيها الدكتور ببحث تطرق فيه إلى واقع العلاقات السياسية بين العراق وتركيا وبيان مدى التجاوز التركي على الحدود الشمالية العراقية , وتدخله في شؤونه , لاسيما ما يصفه بوضع التركمان في العراق . وتماشياً مع نهجه المؤسس على التجاذب الفكري مع المثقفين والمؤسسات العلمية العربية التي كانت بدورها تسعى إلى مد جسور العلاقة معه , بوصفه احد أهم المثقفين والأكاديميين العراقيين , فقد أجاب الدعوة التي وجهتها إليه "المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون" التابعة لجامعة الدول العربية في تونس في السابع والعشرين من حزيران سنة 1985 , إذ اشترك في بحث بعنوان " الرأسمالية وتجارة الرق " . وفي أيلول سنة 1995 , اشترك في ندوة أقيمت في الدوحة بعنوان "العلاقات العربية ـ الإيرانية" والتي رفعت شعار الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل . وبعد سنة سافر إلى باريس ليشترك في مؤتمر الكرد والمدينة , فكان له حضور مميز في بيان الحضور الكوردي في المدينة , ودورهم في رفد الحركة العلمية[16] .

والى جانب ذلك , فقد ألزم نفسه ببرنامج عمل يومي , أضفى عليه صفة التقنين في عطائه . فهو إلى جانب مشاركاته المتعددة في المؤتمرات والندوات , لم ينسى

---

[16] مقابلة معه , 2004, كلية الآداب

ولو للحظة واحدة , انه معني بكتابة التاريخ . فكان مواكباً لكل ما يرد على هذه الحركة من تطوير وتحديث , غير متناسياً ما يفرض عليه واقع مجتمعه , من ضرورة أن يكون منتمياً إلى وطنه , ملتزما , أيما التزام بقضية شعبه وبهويته التي نذر نفسه في الدفاع عنها في أحلك الظروف وأقساها . ففي بداية السبعينات , وحينما كانت القضية الكوردية تتفاعل بشكل تصاعدي في نهج حكومة بغداد البعثية التي غمطت حقوقهم , ارتأى الدكتور , أن يسخر قلمه في التصدي لحركة تاريخ شعبه الكوردي,محاولة لإثبات الذات الملاحقة من قبل تلك الحكومة , فجاء كتابه " كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى " , وهو محاولة جادة لتحديد وتأكيد أولوية المشكلة الكوردية بوصفها أحد أهم القضايا الأساسية في سنوات الحرب العالمية الأولى , إلى جانب تسليط الضوء على واقع الموقف الكوردي في المذابح الأرمينية , إلى جانب تجسيد المؤلف لأحداث الحرب في كردستان , بربطها بخلفياتها التاريخية . ولأنه كان مثابراً وجاداً في عمله فقد أدرك بروية , حين كان طالباً في الاتحاد السوفيتي , طبيعة تعامل المفكرين السوفيت مع أحداث ووقائع التاريخ العربي . فأصدر سنة 1977 , كتابه " ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي" وبواقع (197) صفحة من القطع المتوسط ,
وفيه كشف عن الرؤية السوفيتية وقراءتها لثورة العشرين في العراق . وبعد سنة واحدة , أصدر كتابه الآخر " تيكه يشتنتي راستي" " ثورة العشرين وموقعها في الصحافة الكوردية" وهو يسير في ذات الاتجاه الهادف إلى إثبات العطاء الكوردي في تاريخ الحركة العلمية في العراق . ومن الملفت للنظر , أن الدكتور اعتاد على أن يصدر أكثر من كتاب في سنة واحدة بل تعدى ذلك , ليصل إلى ثلاثة . وفي اعتقادنا , إن مجمل ما أصدره من الكتب , بحيث تصدر متزامنة في بعض الأحيان , هي بالتأكيد مضامين لمؤلفات , كان قد هيأ لها قبل صدورها بسنوات , مما يؤكد أن نشاطه العلمي والبحثي , كان سابق لعمره . ففي سنة 1978 , يكون الدكتور قد انتهى من كتابة مؤلفه " أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط " إذ جاء بواقع (296) صفحة , صدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية , من القطع المتوسط , جاء إدراكا منه لما كان يدور من تفاعلات سياسية وفكرية في العالم , ومقدراً انعكاس ذلك على بلاد المشرق الأمر الذي دفعه إلى البحث في موضوعات تتعلق بحقبة زمنية حساسة من تأريخ هذه المنطقة استناداً لما تعنيه من أهمية بالغة الخطورة في تاريخ العالم بمختلف مراحله , لا سيما ما يعنيه الموقع والثروة من دوافع استعمارية للدول الكبرى . وأمام ذلك كان لابد أن يستقرأ المدلولات التاريخية لمنطقة الشرق الأوسط مع بيان أهميته , فجاء كتابه بياناً واضحاً لتلك المفاهيم مع الإشارة لتاريخيتها , والكشف عن الجهود الغربية المبذولة لإقرار هذه الحالة في تلك البلاد .
ولأنه كان يعي أن أزمة بلاده , هي أزمة فكر وثقافة , وجدناه لا يتوانى في البحث عن أنجع الطرق وأسهلها لبيان فوائد نمو الفكر وانعكاسه على الشعوب , فأصدر كتابه" النهضة " سنة 1979 في بغداد , وفي مجمل ما أودعه من موضوعات , كانت تمثل سيرة الانجاز الأوربي وفلسفة هذا المجتمع في توظيف إمكاناته

الاقتصادية والعسكرية . وبعد سنتين يكون الدكتور قد أردفه بكتاب آخر يسير بنفس الاتجاه , مع تأكيده على أهمية الطبقة العاملة , وما يجب أن تصير إليه بوصفها من مكونات المجتمع الرئيسية فحمل هذا الكتاب الذي تجاوزت صفحاته (281) صفحة من القطع المتوسط , صدر سنة 1981 في بيروت " عنوان الطبقة العاملة العراقية " التكون وبدايات التحرك " .

وفي سنة 1986 وفي سياق عنايته بتاريخية الحركة العاملة في العراق , أصدر كتابه باللغة الكوردية " جيني كويكاراتي عيراق (الطبقة العاملة العراقية) , فجاء تتويجاً لمساعيه الأولى للإفصاح عن دور الحركة العمالية في العراق , لا سيما في ربوع المنطقة الكوردية .

والى ذلك فهو لم ينسى ما للمرأة من دور يضاهي دور الرجل في تقدم المجتمعات , فكتب باللغة الكوردية كتابه المهم " ئافرتله ميزوودا" المرأة في التاريخ . وهو بحث تأريخي اجتماعي موجز , أصدره سنة 1981 في بغداد , اثبت من خلاله أحقية المرأة في أن تتبوأ مكاناً مرموقاً في مجتمعها , مستشهداً بانجازاتها , مما يؤهلها لمكان ريادي يضاهي الرجل في قيادة المجتمع .

وفي سنة 1984 , أصدر كتابه ميكافيلي والميكافيلية , عرج فيه على الفلسفة الميكافيلية[17] موضحاً طبيعتها وتوجه معتنقيها والغاية التي توخاها مؤلف الكتاب من إصداره . ولأنه مؤرخ معني بحركة تاريخ بلاده , فقد وجد أن الكشف عن حركة التاريخ عند البلدان المجاورة والمرتبطة منذ عهود بعلاقات مصيرية مع بلاده أمر لامناص منه , إذ أن تاريخ الشعوب , في حركته مرتبط بشكل أو بآخر , بتاريخية الشعوب المعاصرة له . وعلى وفق ذلك , جاء كتابه "دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر" إذ صدر في بغداد سنة 1985 , بواقع (332) صفحة من القطع المتوسط , وهو تعبير عن اهتمامه بتاريخ هذه الدولة , إذ رافقه هذا الاهتمام منذ الستينيات استناداً لتخصصه بهذا التاريخ . وفيه كشف عن حقبة من تاريخ الحروب الإيرانية الروسية , بوصفها تمثل صفحة من العلاقات الدولية في الشرق الأوسط قبل ظهور الامبريالية . ووجد في التحدث عن أهم الأحداث التي شهدتها إيران في تاريخها المعاصر , إنما هو بيان لتركيبة المجتمع الإيراني , إلى جانب تأكيد ما كان عليه هذا الشعب من خصوصية , ألزمته بتعامل خاص مع الأزمات وما كان يواجهه من تحديات . ولتوضيح أدق لهذا الطرح , وجدناه يركز على الإفصاح عن المؤسسة الدينية في إيران , وكأنه يروم القول بما كانت عليه هذه المؤسسة من دور فاعل ومؤثر في تاريخ إيران الحديث والمعاصر . وفي سنة 1985 , صدر للدكتور كتاب باللغة الكوردية بعنوان " جه ند لابه رهـ يه ك ميزووي كه لي كورد"(صفحات من تاريخ الشعب الكوردي) إذ صدرت طبعته الأولى في بغداد , والطبعة الثانية في ستوكهولم[18].

---

[17] الغاية تبرر الوسيلة

[18] سنة 1991

وعلى ذات الشاكلة , جاء كتابه صفحات من تاريخ العراق المعاصر, دراسات تحليلية , سنة 1987 والذي جاء متناغماً مع ميل مؤرخنا كمال ورؤيته الفكرية في سياق تصديه للموضوعات السياسية .
وفضلاً عما اشرنا إليه من آثار الدكتور كمال, فهناك كتابه المثير , والذي جاء تحت عنوان كركوك وتوابعها , حكم الضمير والتاريخ , والذي صدر سنة 2004 وبواقع (223) صفحة من القطع المتوسط وفيه محاولة من الدكتور لاستقراء نصوص تاريخية , لغرض تأكيد أحقية العنصر الكردي بمدينة كركوك . ويبدو أن الوضع المتأزم إزاء هذه المدينة , قد شكل هماً مزمناً لدى مؤرخنا, الذي وجد في نفسه ميلاً واضحاً للكشف عن تاريخية هذه المدينة . فجاء كتابه هذا , دراسة وثائقية عن القضية الكوردية في العراق " والذي صدر عن وزارة الثقافة بحكومة كردستان . وفيه كشف عن تقديره لأهمية البحث في تاريخ المدن ، وفي تاريخ مدينة رئيسية مثل كركوك ، التي استشف ما أفرزته التقلبات السياسية من غمط لحقوق أهلها .
أما بخصوص أبحاثه ومقالاته , فهي كثيرة تجاوزت المئات , كتبها باللغة العربية والكوردية والروسية . وقام إلى جانب ذلك بتقويم العديد من الكتب التاريخية باللغة الروسية , منها كتاب الهلالي , المسألة العمانية وقد نُشر التقويم في مجلة " آسيا وأفريقيا اليوم " بعددها السابع سنة 1963 في موسكو [19], وكذلك عمد إلى تقويم كتاب "عبد الله الفياض" [20] و" الثورة العراقية الكبرى " والتي نشرته المجلة نفسها في عددها الخامس سنة 1964 فيما نشرت مجلة " شعوب آسيا وإفريقيا " الصادرة في موسكو بعددها الثالث سنة 1968 تقويمه لكتاب محمد مهدي كبه, مذكراتي في صميم الأحداث . ونشرت المجلة نفسها في عددها الخامس والصادر في 1967 , تقويمه لكتاب الدكتور محمد سلمان حسن , تطور الاقتصاد العراقي , التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864 - 1958 , والمنشور في بيروت سنة 1965. وفي عددها الأول الصادر في 1967 , نشرت مجلة آسيا وأفريقيا اليوم , تقويمه لكتاب نعمان ماهر الكنعاني :ضوء على شمال العراق , المنشور قي بغداد 1965 , في حين نشرت هذه المجلة في ذات السنة , تقويمه للكتاب الثاني للدكتور

---

[19] أطلعنا الدكتور كمال مظهر على نسخة من تلك المجلة , يحتفظ بها في مكتبته

[20] ولد الدكتور الفياض في مدينة الناصرية عام 1917م، وأكمل دراسته الثانوية في مدينة النجف الأشرف، ثم تخرّج من دار المعلّمين العالية في بغداد، والتحقق ببعثة إلى الولايات المتحدة ثم إلى كندا، بعدها قدّم أطروحة دكتوراه إلى الجامعة الأمريكية في لبنان بعنوان «تاريخ التربية عند الأمامية بين عصري الإمام الصادق والشيخ الطوسي «، تركّزت بحوث عبد الله فياض في بحث الجوانب الفكرية لتاريخ الشيعة الاثني عشرية .وألّف في ذلك عدد من المصنّفات، منها «الإجازات العلمية عند المسلمين»، و«تاريخ الشيعة في عصر الخلافة العبّاسية»، إضافة إلى عدد من البحوث المنشورة في المجلات.وله أيضاً اهتمامات أخرى في الكتابة التاريخية، فصنّف في «تاريخ البرامكة»، و«تاريخ الثورة العراقية الكبرى»، و«تدوين التاريخ عند المسلمين«، و«التاريخ فكراً ومنهجاً»، و«الحالة الثقافية في الحجاز , الجمهورية (جريدة) العدد (3252) , بغداد , الثلاثاء , 21 آب , 1978

محمد سلمان حسن, دراسات في الاقتصاد العراقي , الصادر في بيروت 1966 , وكذا الحال بالنسبة لتقويمه لكتابي عبد اللطيف الشوّاف , حول مسألة النفط في العراق المنشور في بيروت سنة 1969 , وأمين سامي الغمراوي , المشكلة الكوردية في شمال العراق , الصادر في القاهرة 1967 . وفي سنة 1970 نشرت مجلة شعوب آسيا وأفريقيا في موسكو , تقويمه لكتاب ك . ب. ما تفييف (بارمتاي) وي مار يوحنا , القضية الآثورية أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918) باللغة الروسية والصادر في موسكو سنة 1968 . وعمد إلى ترجمة بحث للبروفسور ف مينورسكي " الأكراد أحفاد الميديين " من اللغة الروسية إلى اللغة العربية, والتعليق عليه , وقام المجمع العلمي الكوردي بنشره في مجلته سنة1973. وترجم كتاب أ . شاميلوف , حول مسألة الإقطاع بين الكرد , من اللغة الروسية إلى اللغة العربية , وقدمه وعلق عليه ,وصدرت طبعته الأولى في بغداد سنة 1977 والثانية سنة 1984 . وبعد ذلك , ترأس لجان قامت بترجمة خمسة كتب دراسية تاريخية من اللغة العربية إلى اللغة الكوردية . وقد لاحظنا ومن خلال ما ترجمه لنا من تلك التقويمات , انه كثيراً ما ابتعد عن الإطراء والمدح , إلا بحدود العرف الأكاديمي , معتمداً أسلوب النقد والتصويب العلمي , بل وجدناه في بعض تلك التقويمات , يعمل على اختزال معلومات من البحوث التي يعمد إلى تقويمها , ويعيد كتابتها من جديد , ويرفقها مع تقويمه للبحث المقوم , محاولة منه لتأسيس جو من التفاعل وتبادل الثقة , وتقبل الآخر لما يفد عليه من توجيهات ونقود علمية , كلها تصب في صالح الحركة العلمية .

ولأنه مؤرخ ومفكر , فقد كان لما يضعه من كلمات وما يصوغه من عبارات , تتصدر الكتب والمؤلفات أهمية علمية , تزيد من الكتاب الذي قدّم له رصانة . فضلاً عن ذلك , فمراجعته للكتب وقوله رأيه إزاء موضوعة بحث الكتاب ومنهج الباحث في كتابته , إنما يجعل من هذا الكتاب مادة يعول عليها علمياً . فقدم وراجع العديد من الكتب , كما هو الحال في كتاب شرفخان البدليسي[21] , شرفنامه[22] , الذي

---

[21] مؤرخ الكورد الأول

[22] كتاب (الشرفنامه) لمؤلفه شرف خان البدليسي المتوفى سنة 1603م وهو باللغة الفارسية وقد ظهر بعد حوالي 600 عام بعد (الشاهنامه) أي أنه كتب بين عامى (1597 – 1599 م) . وقد أتم شرف خان الجزء الأول من كتابه في سنة 1005هـ / 1597م . يبحث هذا الكتاب في تاريخ الدول والإمارات الكردية في العصور الوسطى والحديثة إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي ، وفيه تراجم لملوك وسلاطين وأمراء وحكام من المستقلين والتابعين , ويعتبر أهم مصدر في تأريخ الكرد في تلك العصور المشار اليها . وقد استفاد منه المؤرخون الذين جاءوا بعد شرف خان مثل كاتب ضلبي وأليا ضلبي والأخير رحالة تركي شهير ألف (سياحتنامه) في سنة 1065 هـ وفيه قسم خاص بالكرد ترجمه الى الكردية الأستاذ سعيد ناكام . نال كاتب الشرفنامه اهتمام الباحثين والقراء من الأجانب والكرد على حد سواء وكذلك اهتمام المعنيين بتاريخ الشرق , وفي الكتاب معلومات مهمة عن البلدان والقبائل واللهجات الكردية والدور المهم الذي لعبه الكرد في تأريخ الشرق الاوسط . والشرفنامه اسم الكتاب منسوب الى شرف خان بن شمس الدين البدليسي (1542 – 1603 م) المعروف بالامير شرف حاكم أمارة بدليس الكردية , وبدليس اسم مدينة و منطقة كبيرة تقع في غرب بحيرة (وان) وتتبعها مدن : مرش وكنج سعرت . وكانت (بدليس) مركزا" لإمارة توالى على حكمها أمراء أسرة شرف

ترجمه عضو المجمع العلمي الكوردي الشاعر هزار , والذي صدر في النجف سنة 1972 . وراجع أيضا كتاب البروفيسور كوردوييف , آراء غير علمية في اللغة والتاريخ الكورديين ترجمة الدكتور عبد الرحمن معروف , وهو من إصدارات المجمع العلمي الكوردي لسنة 1973 في بغداد . وكتب عن الميكافيلية , حتى صار مدركاً لجذرها , إذ راجع كتاب ميكافيللي , الأمير الذي ترجمه حسين عارف , وصدر في بغداد سنة 1982 , وقدم أيضا لكتاب الدكتور كاوس قفطان , بابان , سوران , بوتان , بغداد , 1985 , وكتاب أرشاك سافراستيان , الكرد وكردستان , والذي ترجمه محمد أمين شوان . والى جانب ذلك , قدم وراجع عدد من الكتب العربية كما في كتاب سياسة إيران الخارجية في عهد احمد شاه (1909- 1925) لمؤلفه أسعد محمد زيدان الجواري والمنشور في بغداد 1987 . وفي سياق

خان فكان مؤلف الكتاب هو الأمير الخامس المعروف بهذا الاسم من الأسرة الحاكمة، وكان من الأمراء النابهين المصلحين , عنى عناية خاصة بالعمران والمعرفة ، وقد نشر كتاب الشرفنامه من بعده مرات عديدة وترجم الى لغات كثيرة . لقد لقي كتاب الشرفنامه عناية خاصة من لدن المؤرخين والمستشرقين في اوروبا عامة وفي روسيا خاصة من لدن القسم الكردي في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم في لينينغراد حيث بدأت الباحثة (يفغينيا فاسيليفا) بترجمة الشرفنامه الى اللغة الروسية وأتمت الجزء الأول منه وصدر في سنة 1967 وانهمكت بعد ذلك في ترجمة الجزء الثاني . واشارت إلى أن أول من ذكر شرفنامه هو (هيربيلو) في سنة 1776م في كتابه (المكتبة الشرقية) أو القاموس العام ، بالفرنسية . وكان هذا قد عرف الكتاب عن طريق إحدى كتابات السائح التركي الشهير في القرن السابع عشر كاتب ضلبي ومن بعده كان (جون مالكولم 1769 – 1833 م) الدبلوماسي البريطاني الذي عمل في الهند وإيران وهو أول أوروبي تمكن من الحصول على نسخة مخطوطة من الشرفنامه مع مخطوطات أخرى خلال إقامته في إيران . وبعد عشرين سنة نقل المؤرخ الفرنسي (كاترمير) كثيرا" من المعلومات من الشرفنامه إلى كتابه المعنون (تأريخ مغول إيران) الذي ألفه في سنة 1836م .وكان (خ. د. فرين) أول روسي ذكر في سنة 1826م في إحدى جرائد بطرسبرغ بأن الشرفنامه مصدر تأريخي هام . وبعد ثلاث سنوات دعا إلى ترجمته الى إحدى اللغات الأوروبية . واستطاع المستشرق الروسي (زيرنوف) عضو الأكاديمية الروسية في(بطرسبورغ أن يصدر الجزء الاول من الشرفنامه في سنة 1860 بلغته الفارسية ، وقدم لهذا الجزء بمقدمة اضافية باللغة الفرنسية ، ثم أصدر الجزء الثاني الذي قدمه أيضا" بمقدمة فرنسية في سنة 1862 م . ويقع جزءا الكتاب المطبوع" في حوالي ألف صفحة . ونسخ الشرفنامه المخطوطة تبلغ (22) نسخة موزعة في مكتبات العالم المعروفة ، وحسب المعلومات التي جمعتها (فاسيليفا) : أن أقدم وأهم وأكمل نسخة مخطوطة منه هي تلك النسخة التي دونها شرف خان بخط يده تحت اسم (شرفنامي تاريخي كوردستان) وهي محفوظة في مكتبة (بودليان) في أكسفورد وتقع في (246) صفحة , وأكملها مؤلفها سنة 1005هـ 13 آب 1597م . وأكمل الجزء الثاني من الكتاب في مايس 1599م . والنسخة الأخرى المهمة من الكتاب هي النسخة المخطوطة المحفوظة في المكتبة العامة في لينينغراد ويرجع تأريخها الى سنة 1598 م حيث اطلع المؤلف بنفسه عليها ووضع عليها ختمه . وهذه النسخة غنمها الجيش الروسي سنة (1826 – 1828م) في حربه مع الفرس حيث نقل من أردبيل من مكتبة الصفويين الى بطرسبورغ وكانت الشرفنامه أحدى مخطوطات هذه المكتبة . ينظر : قناتي كوردو , كوردناسي , لينينغراد , 1972م , (ص 386 – 387)

النظرية الميكافيلية واهتمامه بها , قد علمت من خلال أحاديث سمعتها في سياق ترددي وبعض طلبة الدراسات العليا عليه , انه يحترم شخصية نوري السعيد , إذ يرى من ايجابياته , ما تبرر أحيانا سيئاته وسلوكه السياسي [23], وكأنه يجيز له أتباع النظرية الميكافيلية , وهذا ما دعاه على ما نعتقد في التقديم لكتاب عبد الرزاق ألنصيري "نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام 1932" وكذا الحال لكتاب الدكتور ة سعاد رؤوف " نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية 1921- " 1945. وقدم أيضا لكتاب الدكتور محمد كامل , سياسة إيران الخارجية في عهد رضا شاه 1921 - 1941 , وكتاب محمد كاظم علي "العراق في عهد عبد الكريم قاسم , دراسة في القوى السياسية والصراع الأيديولوجي" .
وتناول بالتقديم كتاب "الحركة العمالية في العراق 1932- 1945" لأميرة حسين محمود ألكريمي , وكتاب الدكتور علي عبد شناوة , الشبيبي في شبابه السياسي , محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي حتى العام 1932 , فضلاً عن كتاب أمير الحلو شخوص في الذاكرة , فضلاً عن تقديمه لكتابين للدكتور عادل تقي البلداوي , وغير ذلك .
أما في مجال الإشراف على الرسائل والأطاريح , فهو حديث يطول , فهو الأستاذ المطلوب عند البعض , وغير المرغوب عند البعض الآخر . فقد تزاحم البعض لأن يحضى بأشرافه عليه , لأنه سيسهم من خلال هذا الإشراف على إخراج مشروع كتابة علمية رصينة لا تقبل أي جدال , وان ثمن هذا التميز , هو بالتأكيد تحمل أسلوبه الذي لا يحتمل أن يكون تلميذه متماهلاً , أو مترددا , أو غير منتج , أو معتذراً عن تقصير . وبخلاف ذلك , فأن الدكتور , سيرفض الإشراف عليه , ولا يثنيه عن ذلك , أي وسيط أو مؤثر . وعليه , فمن لا يرى في نفسه طاقة تحمل وثبات أمام شروط الدكتور , فأن عليه أن يجد مشرفاً آخر . وقد اشرف الدكتور كمال على العشرات من الرسائل والأطاريح وناقش عدد من رسائل الدبلوم العالي في كلية الدفاع الوطني ـ جامعة البكر ومعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية , فضلاً عن اشتراكه في مناقشة الكثير من الرسائل والأطاريح[24] وفي مختلف الجامعات العراقية[25] .
وأمام هذا الكم الهائل من الانجازات العلمية والفكرية ,التي أغنت المكتبة العربية والإسلامية بجليل ما كتبه عن تاريخ بلاده , فأن شخصيته أصبحت مرموقة , يتشرف بذكرها من أدرك كنه هذا العالم , ووعى غايته من وراء انجازاته الكثيرة .فقد قومت الجرائد والمجلات العراقية والكوردية مؤلفاته لمرات عديدة . فذكرته جريدة الثورة والجمهورية والتآخي والثقافة الجديدة و(هاوكاي) و(بيري نوي)

---

[23] ستجد في الصفحات اللاحقة من البحث أن الدكتور , ينوه بسياسة الاستبداد التي اتبعها السعيد .

[24] للاطلاع على أسماء الطلبة وأسماء الرسائل والاطاريح التي اشرف عليها الدكتور كمال مظهر أحمد وترأس لجانها العلمية , ينظر : الدليمي , حسن ضاري , المصدر السابق

[25] كان قد ترأس لجنة مناقشة أطروحتنا لنيل شهادة الدكتوراه سنة 1999

و(عيراق) و(ره نكين) و(دره نكين) و(كزنكين) عشرات المرات وهي تثني على ما يقدمه من مؤلفات وما يكتبه من مقالات و(كاروان) و(كزنكي) و(كاروان) ووعي العمال وغيرها . وهذا الأمر ينسحب أيضا على الصحف العربية , إذ عمدت إلى تقويم بعض مؤلفاته , كما هو الحال في التقويم الذي جاء في صحيفة (كل العرب) و(الدستور) و(الوطن العربي) و(الحياة) , كما نشرت الصحيفة الأردنية (الرأي) و(الدستور) و(الشعب), خلاصة لمحاضرته التي ألقاها يوم التاسع عشر من تشرين الثاني 1994 في مؤسسة عبد الحميد شومان [26] بعنوان " ماذا حصل في الاتحاد السوفيتي ولماذا ؟" . وفضلاً عن ذلك , فقد قومت الأوساط العلمية في الاتحاد السوفيتي جهده , ونشرت جريدة هبربن ايفانس (H. Evans) مقاله عن كتابه الصادر باللغة الروسية سنة 1967 في Middle Eatern Studies' London, Vol. 4 ,No. 2 , January 1968 , pp173-178. فيما نشرت المستشرقة الايطالية الدكتورة ميريللا كاليتي (Morella Kaleti) مقالة عن كتابه (كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى) في مجلة (الشرق الحديث)[27]. وأختار السيد سيامند عثمان ((الكرد والدم ألأرمني المراق , تأليف كمال مظهر أحمد , تحليل عام للنص والموضوع)) موضوعة لرسالته لنيل شهادة الماجستير, وقد أعد الرسالة بأشراف بول فييل (Poll Feel) وناقشها سنة 1981 في معهد الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس . والى جانب ذلك قوم العديد من المؤرخين والمستشرقين والكتّاب والصحفيين جهده العلمي , كما هو الحال فيما قاله السيد عبد الرزاق الحسني [28] ويوسف إبراهيم يزبك ومحمد جميل الروزبياني وعبد المجيد لطفي وحلمي علي شريف والبروفيسور كوردوييف وعاره بي شامو والبروفيسور لازاريف وايفانس والبروفيسورة جويس بلو والدكتور عزالدين مصطفى رسوا والدكتور جليلي جليل والدكتورة كاليتي والدكتور هلكوت حكيم ومحمد الملا عبد الكريم المدرس والدكتور فؤاد حمه خورشيد وعبد الغني علي يحيى وخسرو الجاف والدكتور عبد الفتاح علي يحيى وممتاز الحيدري والدكتور جليل كمال الدين ومصطفى صالح كريم وكامران قره داغي وعبد اللهعباس وسامي شورش وطالب روستم ومحمد صالح برزنجي وحسين فيض الله الجاف ووزير بلال إسماعيل وحسين الجليلي وحميد المطبعي وحسين احمد الجاف وابراهيم القيسي وابراهيم باجلان وفؤاد مجيد ميسري وعبد الله مردوخ وفاروق عمر وأحلام منصور والمؤرخ الكوردي عبد الرقيب يوسف أرزهم والدكتور إبراهيم خليل أحمد العلاف .

---

29 تعمل مؤسسة عبد الحميد شومان على تهيئة المناخ المناسب لتفاعل أفكار أصحاب المشاريع الفكرية والعلمية. ويشكل منتدى عبد الحميد شومان الثقافي منبرا حرا يستضيف أبرز المفكرين والعلماء والمثقفين والمبدعين العرب، حيث تستقطب نشاطات المنتدى الطاقات الفكرية الأردنية والعربية . وقد تأسس المنتدى عام 1986

[27] روما , العددان التاسع والعاشر , تشرين أول 1977 , ص486-488

[28] مؤرخ عراقي تخصص بتاريخ العراق السياسي المعاصر , من أشهر كتبه تاريخ الوزارات العراقية بأجزائه العشر , للمزيد عنه ينظر : فليح حسن الشواح , عبد الرزاق الحسني مؤرخاً , كلية الآداب , جامعة الكوفة , 2000

ووجهت له عمادة كلية الآداب / جامعة بغداد وعمادات كليات إنسانية أخرى العديد من كتب الشكر تقديراً لجهده العلمي , كما منحته مؤسسات علمية وثقافية وإعلامية مختلفة أوسمة وشهادات تقدير للغرض ذاته . واشترك كمال مع مثقفون بارزون في بغداد في الدعوة إلى إنشاء متحف يعرض مخلفات الحقبة المنصرمة بوصفهـا من صنف الوثائق التاريخية لذلك الماضي البغيض . وتأتي هذه الدعوة في اثر حملة بدأت بوادرها بإزالة النصب والتماثيل التي أنتجت خلال الحقبة الدكتاتورية البائدة ، من الأماكن العامة ، حيث رفع نصبان أحدهما من أعمال النحات خالد الرحال[29] ، مما يثير الخوف أن يفضي الرفع الى تحطيمها . وجاء ذلك في بيان حمل عنوان " أحفظوا شواهد الدكتاتورية .. للعبرة ! " وأستهل بسؤال : هل يعقل أن يختار الحاضر محو معالم الماضي سبيلاً لإثبات وجوده ؟ وهل ذلك ، وهو واقع ، إلا دليل فوضى مستشرية ومبعث قلق وخشية ؟ . ووصف البيان الأعمال الفنية المنتشرة في ساحات بغداد وشوارعها بالوثائق وأنها " ليست ملك ضحاياها الأحياء وحدهم ، بل كذلك هي حق للأجيال الآتية التي يهمها معرفة الماضي بمعطياته الأصلية ." وأضاف البيان :" ومن الوفاء لأنفسنا ولأبنائنا وأحفادنا أن نجعل من تلك الكتل مرآة شاخصة لإحدى أسوأ مراحل تاريخنا السياسي وأكثرها مأساوية ، مرآة تذكر بحالة رعب جماعي من السلطة ، واستسلام لفروضها الغاشمة ، وقدر غير قليل من التنصل من المسؤولية الإنسانية ."" وفي الوقت الذي أكد البيان بأن ساحات بغداد والمدن الأخرى لا تصلح مكاناً لـ" أعمال فنية " من هذا النوع ، فإنه دعا إلى تأسيس متحف لها " لغاية تربوية تحصن العراقيين إزاء إرهاب سلطة شمولية هيمنت ثلاثة عقود ونصف العقد من الزمن ، وتحذر من السماح بتكرار الخسارات الإنسانية الباهظة لشعبنا العراقي . هذا وحمل البيان إمضاءات مفيد الجزائري رئيس لجنة الثقافة والإعلام والسياحة في مجلس النواب د. كمال مظهر أحمد ، الشيخ جلال الحنفي[30] ، د. لطيفة الدليمي

---

[29] خالد الرحال (1926 - 1980) نحات من العراق . حصل على دبلوم النحت من معهد الفنون الجميلة عام 1947. انتمى الرحال إلى جماعة بغداد للفن الحديث عام 1953 وشارك في معارضها عام 1962.تخرج في أكاديمية الفنون الجميلة بروما عام 1964 ونال شهادة التخصص . صمم نصب الجندي المجهول.نفذ نصب المسيرة ببغداد.ساهم في الإشراف والتنفيذ على بانوراما القادسية في المدائن نفذ العديد من التماثيل داخل العاصمة , انظر ترجمته الكاملة في (فنون) مجلة , العدد 23 , بغداد , 1977

[30] الشيخ جلال الدين الحنفي البغدادي فقيه وعالم أدبي وإسلامي موسوعي وكاتب وصحفي ومؤرخ و لغوي, ولد في بغداد عام 1914م وتوفى فيها يوم 5 آذار من عام 2006م . أكمل دراسته عام 1930م . ودرّس بكلية الأمام الأعظم الدينية في جامع أبي حنيفة. ألتحق في عام 1939م بالأزهر الشريف في القاهرة. وعمل في مجال التعليم الديني وفي الوعظ في الجوامع , إذ بدأ حياته كخطيب في جامع المرادية في بغداد عام 1935. سافر إلى الصين لتدريس الدين والدعوة الإسلامية , قام بتدريس اللغة العربية في معهد اللغات الأجنبية في بكين و شنغهاي في الصين عام 1966. قام بتدريس علم التجويد في معهد الفنون الموسيقية في بغداد. أجرى في علم العروض تصحيحات كثيرة و نشرها في كتاب واوجد نماذج للعروض . أما كتبه ومؤلفاته فهي التشريع الإسلامي تاريخه وفلسفته عام 1940. معاني القرآن عام 1941م. آيات من

محي الدين زنكنه ناجح المعموري ، فهد الاسدي ، عريان السيد خلف [31]، فاضل ثامر رئيس اتحاد أدباء العراق، ألفريد سمعان الأمين لإتحاد أدباء العراق ، شهاب التميمي نقيب الصحفيين ، حسين البصري نقيب الفنانين ، عبد الكريم الصراف رئيس تحرير جـريدة 14 تموز ، سافرة جـميل حافظ مدير قاعة حافـــظ الدروبي ومؤيد الحيدري عن الجمعية العراقية لدعم الثقافة[32] .

وفي سياق الإشارة إلى مكانة الدكتور كمال العلمية , قال السيد زهير كاظم عبود في مقال له نشر على الموقع الالكتروني (البوابة العراقية) يوم 14 تموز 2005: إن الدكتور كمال مظهر احمد ليس صاحب تجربة كبيرة في الدراسات التاريخية ، وإنما صاحب تجربة فكرية وسياسية خاضها ضمن تفاصيل العمل السياسي العراقي , وانه يتلمس بحق تمسكه الوطني من خلال اعتزازه القومي بالكورد والذي يشكل رافدا من روافد النسيج الوطني العراقي .

والى ذلك , فقد تم تكريم الدكتور كمال مظهر في العراق من بيت الحكمة وهو مؤسسة فكرية كبيرة في (تشرين الثاني 2002) مع نخبة من المفكرين والعلماء والمبدعين أمثال الدكتور عبد الصاحب حسن علوان (الدراسات الاقتصادية) والدكتور فاضل زكي محمد (الدراسات السياسية) والأستاذ حكمت عبد الله البزاز (الدراسات التربوية) . ومما قالته جريدة الثورة (البغدادية)[33] في حينه: ((وتظهر الشخصية العلمية الكوردية المعروفة الأستاذ الدكتور كمال مظهر الحاج رسول لتسلم جائزته بتواضع العلماء , وقد مضى على حصوله على شهادة الدكتوراه أكثر من خمسة وثلاثين عاما وهو لا يزال طالبا وأستاذا فهو يقرأ بقدر أو أكثر مما يقرأ طلاب العلم . أن المؤرخ الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد يعد معلما من معالم المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة ، وقد عرفناه منذ سنوات بعيدة ، أستاذا مقتدرا ، وباحثا أصيلا ، والاهم من ذلك كله , إنسانا فاضلا[34] .

سورة النساء عام1951م. ثلاث سنوات في جوار الميتم الإسلامي عام 1955م. صحة المجتمع عام 1955م.الروابط الاجتماعية في الإسلام عام 1956م. الحديث من وراء الميكرفو ن عام 1960. المرأة في القرآن الكريم عام 1960. الأمثال البغدادية عام 1964م . المغنون البغداديون والمقام العراقي عام 1964. رمضانيات عام 1988م. شهر رمضان عام 1988م. مقدمة في الموسيقى العربية عام 1989. شخصية الرسول الأعظم قرآنيا عام 1997, المنار (جريدة) عدد يوم 6آذار, 2006 , بغداد

[31] ولد في قلعة سكر على ضفاف الغراف . بدأ النشر مطلع الستينيات . اصدر اكثر من ستة مجاميع شعرية . الكمر والديرة - كبل ليله - أوراق ومواسم - شفاعات الوجد - صياد الهموم - تل الورد . عمل في الصحافة العراقية وفي الإذاعة والتلفزيون . منح وسام اليرموك من جامعه اليرموك في الأردن عضو نقابة الصحفيين العراقيين واتحاد الصحفيين العرب ومنظمة الصحافة العالمية حاصل على شهادة دبلوم صحافه . عضو جمعية الشعراء الشعبيين , طريق الشعب (جريدة) , العدد71, 2005 , ص12

[32] أطلعنا الدكتور كمال على نسخة هذا البيان

[33] عدد يوم 24 تشرين الثاني / 2002

[34] موسوعة المؤرخين العراقيين المعاصرين , إعداد الدكتور إبراهيم خليل العلاف , تنشرها مجلة علوم إنسانية (الالكترونية) www.ulum.nl

دراسة في آثاره

وسنعرض هنا لبعض تلك المؤلفات , كنماذج لبيان طبيعة تعامله مع التاريخ , في الوقت الذي نسعى فيه إلى الافصاح عن تلك الجهود , مع تأشير منهجه في كتابة التاريخ .

ومن الواضح أن عزوف الباحثين عن التصدي لتاريخ الحركة العمالية المهمة في تاريخ العراق المعاصر , كان سبباً دفع بالمؤرخ كمال مظهر احمد إلى البحث في تاريخها , لاسيما بعد أن تبين له أهمية دورها في بلورة الوعي الثوري في العراق . ووجد أن عمر هذه الطبقة يتحدد بالمرحلة التي سبقت ثورة14 تموز 1958 , مصنفاً ثلاث مراحل أساسية في عمر تلك الحركة , هي مرحلة التكوين وتبدأ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والثانية وتبدأ مع بدايات التحرك العمالي , وتعود للفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية , أما المرحلة الثالثة , فتتمثل ببروز الطبقة العمالية على المسرح السياسي كقوة فاعلة في مجمل حركة التحرر الوطني للشعب العراقي[35] . ومن ذلك يبدو أن كمال يحاول أن يربط بروز واندماج هذه الحركة الجديدة على الساحة السياسية العراقية , ببروز المد الشيوعي ومناصرته للحركات العمالية . فكان ذلك , مدعاة له لبيان مراحل تطور هذه الحركة , ومنوهاً بما شهدته في تاريخها من متغيرات , فبحث في مراحل التكوين أواخر القرن التاسع عشر , وعرج على الكشف عن جذورها التاريخية , لا سيما كشفه عن أهمية التغلغل الرأسمالي الأوروبي والتوجهات الاستعمارية في منطقة الشرق الأوسط . ولتسهيل تصور التوجه الأوربي صوب هذه المنطقة , لاسيما العراق , عمد إلى الكشف عن مجمل الظروف والأحداث المتسارعة التي مثلت ظرفاً رحباً لهذا التوجه . منوهاً بما عمدت إليه القوى الاستعمارية من تنافس , أفرزت وضع العديد من المشاريع ,بما فيها طرق المواصلات ووسائل النقل , وهو بذلك يبغي بيان أثر الرأسمال الأجنبي في بروز الطبقة العمالية في العراق , من خلال استقطاب تلك المشاريع لأعداد كبيرة من العمال . وليس ذلك فحسب , بل انه حاول رسم الالية التي من خلالها برزت الطبقة البروجوازية الوطنية[36], مشيراً إلى المشاريع التي ولدتها تلك الأموال المستثمرة من قبل الملاكين والمستثمرين , وما شهدته من تطوير لاسيما في مجال النقل والإنتاج

---

[35] **من نضالات الطبقة العاملة على سبيل المثال لا الحصر إضرابات عمال البلدية في عام 1931 وكان من ضمن مطالبها إطلاق سراح السجناء السياسيي ن . هذا قبل أكثر من سبعة عقود. وبعد الأول من أيار من عام 1958 عندما قال ممثلي العمال لعبد الكريم قاسم في الرد على كلمته في الاتحاد العام لعمال العراق الذي طلب التعاون بين العمال والبرجوازية بحجة أنها وطنية وليست أجنبية. ردوا العمال: ليس هناك تعاون بين البرجوازية والعمال! فزج قادة العمال في المعتقلات ونفي قسما آخر منهم . وبعد مجيء البعث إلى السلطة، فتحت النار بعد أربعة أشهر من سلطتهم على إضرابات عمال الزيوت النباتية , ليستمر هذا المشهد , حتى تلاشت تلك الروح الوثابة لدى أبناء هذه الطبقة مع موت التوجهات الديمقراطية في العراق , ينظر : طريق الشعب (جريدة) , العدد 22, السنة الأولى , 2004**

[36] **أصحاب رؤوس الأموال ممن يستثمرون في البلد، وتصب استثماراتهم في الصالح العام**

الحرفي وتأسيس المطابع , مثنياً على جهود الوالي مدحت باشا في هذا المجال . وبالمقابل , فأن كمال لم يغفل الجانب المهم من سيرة هذه الطبقة الحيوية في المجتمع , بما فيها معاناتها ومواجهتها للظروف الصعبة التي وجدت في طريقها , مقدراً أن هذه الظروف هي التي هيأت لهذه الطبقة أن ترتقي بمكانتها من خلال التحولات التي طرأت على مسيرتها . ومع ذلك , فهو يأخذ عليها قلة الوعي, مع انه وجد في التحولات الرأسمالية , نقطة مهمة في تاريخ الحركة العمالية العراقية ففيها مثلاً , تكونت نواتها وقشورها الأولية , وفيها ارست حالة استقطاب الفلاح صوب المدينة , إلى جانب ما شهدته تلك الحركة من تحولات اجتماعية واقتصادية برزت بوضوح في سنوات الحرب العالمية الأولى وما بعدها . وأمام هذه الصورة للعامل في سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية , ارتأى أن يعطي صورة عن العمل والعمال في سنوات تلك الحرب , وما نتج عنها من وقوع العراق تحت الاحتلال البريطاني , وما رافق هذا الاحتلال من وضع السلطة المحتلة لمشاريع وجدت في ادامتها ,ادامة لبقائها في العراق . ومن هذه المشاريع تمكنت أن تنفذ كما يرى إلى الارتباط بقوى محلية لها نفوذها , حين اقاموا دائرة خاصة بأمرة ضباط بريطانيون , ارتبطوا بتلك القوى المحلية . وهو باشارته تلك يحاول أن يبرز ولو بصورة غير مباشرة , ما كانت تعمد إليه السلطة المحتلة للعراق وقتذاك , من خلال وضع العراقيل التي تحول دون توحد صفوف العمال , بما في ذلك الأساليب المالية والتمييز بين العمال . والعمل بشكل لا يقبل الشك , على تردي المستوى العلمي والتعليمي لأبناء الشعب , لإدراكهم أن هذا الامر من شأنه أن يقتل الفكر ويحول دون تفعيله [37] . ومع ذلك , وجد أن هذا السلوك , مثّل دافعاً حيوياً لكي يحرك العمال أنفسهم في نطاق حركتهم العمالية . ولأجل توضيح أكثر لهذا التوجه , ارتأى كمال أن يلتفت إلى ذكر ما كان العامل يعانيه من ظروف عمل قاسية , لاسيما السنوات (1918- 1932) , مدركاً ما للآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على بنية المجتمع , بخاصة بعد أن استشعرت السلطة المحتلة الابعاد الستراتيجية والسياسية , بضرورة تفعيل وجودها وتثبيته , حين وجدت طريقها سالكاً صو ب منابع النفط العراقي وصناعته , وبالتالي انتقال رؤوس الأموال الإنكليزية إليه لأستثماره . وما نتج عنه من تأسيس لمعامل النسيج ومطاحن ومعامل طابوق ومكائن توليد كهرباء . وبالنتيجة فان تلك المؤسسات , استوعبت اعداداً كبيرة من العمال , مما شكل تبلوراً واضحاً لعملية تكّون الطبقة العمالية العراقية خلال سنوات الاحتلال والانتداب , لدرجة أنها شكلت فئة اجتماعية مهمة ضمن فئات المجتمع العراقي . فكان أن اثرت البيئة العمالية في المدن , على وضع الفلاح في الريف , الذي ما لبث أن تأثر إلى حد ما بما حصل لأقرانه ممن سبقوه إلى الهجرة صوب المدن , وما وصلوا إليه من تحسين في ظروف احوالهم . وبذلك فأن كمال يقرر وعلى وفق منهج مادي صارم , أن العامل الاقتصادي كان دافعاً حيوياً دفع بمجموعات كبيرة من سكان الريف إلى الهجرة نحو المدن . مشيراً إلى تداعيات هذا الحراك وتبادل الأماكن بعد الاندماج المتزايد بالسوق

---

[37] أحمد , كمال مظهر , الطبقة العاملة العراقية , التكون وبدايات التحرك , دار الرشيد للنشر , 1981

الرأسمالية , حين أدت هذه الظروف إلى انحلال الإنتاج الحرفي العراقي وبوتائر متسارعة , بما في ذلك من التداعيات السياسة الضريبية الموضوعة من قبل الحكومات المتعاقبة , في مقابل الاجور الزهيدة التي كان يتقاضاها العمال , لاسيما النساء والاطفال الذين امتلئت بهم معامل النسيج والجواريب في بغداد , والتي عدت من أكثر ما كان يتعرض له العمال من اجحاف في العراق . ووجد أن هذا الأمر انسحب بقوة على السجون العراقية , حين تم استغلال السجناء ايما استغلال , ليعده اسوء صفحة في تاريخ العمل العراقي خلال سنوات الاحتلال والانتداب , مشيراً إلى عمل السخرة ومؤثراته السلبية . وأمام ما شكلته تلك الصورة من ابعاد , وجد كمال أن لا اثم يتحمله إزاء هذا الوضع , غير الحكومة التي كانت مطيعة لما تعهد به إليها سلطة الاحتلال , منوهاً بنص البند الثاني من بنود العقد الخاص الذي ابرمته إدارة السكك مع العمال العراقيين قبل تشغيلهم, إذ يرى فيه افصاح حقيقي لواقع المعاناة التي أقحم فيها العامل العراقي , وهو مجبر على تقبلها استناداً لواقعه المعيش .
ولترصين ما ذهب إليه , أورد عدداً من الشواهد التي تتحدث عن تلك المأساة , بما فيه الاستغناء الكيفي عن العمال ,مما أسهم إلى حد بعيد بزيادة عدد البطالة والعمال الاجانب في سنوات الاحتلال والانتداب[38] .
وفي سياق بيانه التشققات التي حصلت في جسد الريف بما كان يشكله من ثقل في وزن الدولة العراقية وما شكلته أيضا من ضعف لانتاج المدينة التي أصبحت ملجأ لجموع البطالة الوافدة إليها من المناطق الريفية . أشار الى أسباب الهجرة إلى المدينة وانحلال عملية الإنتاج الحرفي وضعف وتائر نمو الصناعة الوطنية , مؤكداً على الآثار المباشرة التي تركتها الأزمة العالمية 1929 - 1933 لأرتباط العملة العراقية بالجنيه الاسترليني .
ولعل من اخطر وادق ما اشار إليه كمال من اهداف كان البريطانيون يعملون للتمهيد لها والعمل على إيجادها , هو تأسيسهم لمجموعة من الجيش والشرطة تأتمر بأمرتهم[39] , بما فيها تشكيلات الليفي والشبانة , في وقت تعمدت فيه إهمال المؤسسات الحيوية الأخرى , بل وتركتها بحالة بائسة . فكان من الطبيعي أن تديم هذه السياسة , الوجود البريطاني الذي يجد في تحسين احوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والفكرية , تقاطعاً مع وجودها,المبرر بعدم استقرار الوضع في العراق . وأشار إلى السلوك الخطير الذي وجد البريطانيون قد لجأوا إليه في اطالة عمر وجودهم في العراق , هو ما عمدوا اليه من تهيئة الفنيين والمهرة من العمال من خارج البلاد , والحيلولة دون تطوير قدرات العامل العراقي . معززاً رأيه هذا بما اعتادت عليه الشركات الاجنبية من التملص من التزاماتها بتطوير الكادر العمالي العراقي العامل لديها . بل والعمل على اثارة التنافر والتقاطع مع العمال الهنود , وما أدته من إثارة حملة ضدهم . وأشار إلى التحايل على القانون الدولي الذي لجأ إليه البريطانيون من أجل ديمومة مصالحهم في العراق , إذ ذكر التشريع العمالي في ظل الاحتلال والانتداب , وعرض إلى التقرير البريطاني الذي قدم بهذا الشأن إلى العصبة في

---

[38] **المصدر نفسه, ص88**

[39] **كان من ضمن انتمى إلى هذه المؤسسة , إعداد كبيرة من الأميين**

1926 في محاولة لأقناع الرأي العالمي , بأن العراق بلد زراعي . ومع ذلك , وجد كمال أن العمال لم يخضعوا لهذه الممارسات , إنما استمروا في مطالبتهم بضرورة سن تشريع للعمال . أما بعد سنة 1932 , وهو تاريخ دخول العراق إلى عصبة الأمم ,إذ تصور أن هذه الحقبة مثلت صفحة جديدة في عمر الحركة العمالية في العراق , ممثلة بالاحتكاك بالعملية السياسية , حين تمت مناقشة مشروع العمل في مجلس النواب . وأورد النقاط التسع التي تضمنها المشروع , وما افرزته من تحركات خارجية افضت إلى قبول اللوائح التي تقدم بها المسؤولون العراقيون إلى مكتب العمال الدولي . وواضح من تلك البيانات , أن كمال يحاول رسم الخط البياني المتنامي والمتصاعد لتحركات العمال العراقيين , بدءاً بتكوين قواعدهم , مروراً بالتأسيس لها ومن ثم الانطلاق إلى تحسين احوالهم , كناية عن بروز الحركة الوطنية العمالية . وهو ما دعاه إلى الرجوع في حديثه عن البدايات وبروز الوعي الطبقي بين العمال . حين وجد أن الحاجة للتحرك قد دفعت بهذه الطبقة إلى تأسيس قاعدة أو آلية عمل , تندرج في سياقها مجمل تحركاتهم . فظهرت بوادر التحركات العمالية الوطنية , في أيام ثورة العشرين , لاسيما وان أول مواطن عراقي استشهد , كان ينتمي إلى هذه الطبقة [40]. والى ذلك , وجد أن أول مؤشر مبكر لبوادر إدراك العامل لذاته , كان في تأسيس نادي عمالي مستقل في بغداد , وما تبع ذلك من تأسيس الجمعيات العمالية والحرفية , مشيراً إلى ما لخصه محمد صالح القزاز القائد النقابي المعروف , بما يتعلق بطبيعة تأسيس الجمعيات العمالية وتوجهاتها , مؤكداً أن التدقيق في تحليل بنيان هذه الجمعيات , سيعطي دليلاً على أنها جمعيات حرفية صرفة , وذات قيادة حرفية وقاعدة عمالية . وهو ما أدى إلى تفعيل دور تلك الجمعيات وتكثيف نشاطها [41]. وتحدث عن جمعية أصحاب الصنائع , باعتبارها انموذجاً لما برز إبان تلك المرحلة من جمعيات . فتناول طبيعة توجهاتها وأشار إلى هيئتها الإدارية , مشيراً إلى عدد من اسماء ادارتها . ومعرجاً إلى ذكر أهم أهدافها وأدوارها في حياة العمال العراقيين , لاسيما في مجال محو الامية والبطالة وقيادة نضال وتحركات الحرفيين . ولبيان الموقف النضالي لهذه الحركة ودورها التاريخي , أشار الى تقاطعاتها مع المحتل البريطاني , الذي بدوره عمل على افتعال الازمات والعراقيل للحيلولة دون تطوير مجال عملهم وتحجيم أدوارهم في قيادة الحركة العمالية المتنامية في العراق [42] . ولم يغفل كمال أن يشير إلى ما اداه الأعلام والصحافة العمالية من ادوار , في رفد تلك الجمعيات وإبرازها , حين عرض لسيرة جرائد المعارضة,بوصفها وسيلة اتصال بين تلك الجمعيات والأوساط المختلفة للشعب . منوهاً بما أصاب هذا الرافد من تطوير بدءاً من السنة 1929 , حين برزت أولى المحاولات العمالية لإيجاد صحافة مستقلة . وقد استعرض بالتتابع , السنوات التي شهدت صدور المجلات والجرائد العمالية والتذكير باهتماماتها بما فيها جريدة العامل ونداء العمال . وهو بذلك يحاول القول : أن الحركة العمالية , كادت أن تكون

---

[40] وأسمه **نجار اخرس استشهد في بغداد عشية الثورة**

[41] **كمال , المصدر السابق , ص 138**

[42] **المصدر نفسه , ص154**

قد خرجت من ركودها , حين دخلت مرحلة هامة من تاريخها , بعد المتغيرات التي شهدتها السنوات 1929- 1932 , وما حصل من جرائها من انعكاسات على اقتصاديات البلدان بعد الأزمة الاقتصادية العالمية . وبالمقابل , فأن كمال حين صّور لنا هذا الواقع المأساوي لحالة العامل في العراق , التفت إلى تأثير ذلك على الوضع العام , وما شكله من ردة فعل العمال إزاء هذه التحديات . وقد قاده هذا التفاعل الجماهيري إلى القول بتنامي الفكر النضالي للعمل , حين أمتدت مطالب الحركة العمالية من مطلب تحسين وضع العمال , إلى مطلب سقوط الحكومة . منوهاً بما أضافته الحكومة من إجراءات تعسفية بحق العمال مما شكّله من دافع للعمال , للعمل على إيجاد البدائل لتلك المعاناة , لاسيما الموقف الذي اتخذته إزاء فرض قانون رسوم البلديات , حتى بادرت إلى مساندتها والعمل على دفعها باتجاه سياسي لتحقيق أهدافها .

وبعد أن ادلى كمال بدلوه في بيان تاريخية الحركة العمالية في العراق , نراه يعمد إلى تقييم المواقف المعارضة من الحركة العمالية وإضراباتها , وبيان دور القوى البرجوازية الوطنية ووقوفها إلى جانب تلك الحركة,منتقياً نماذج تمثل واقع تلك الحركة , كما هو الحال في تقييمه لجعفر أبو التمن , والفئات المثقفة الوطنية , وفي مقدمتها الشباب الثوري في العاصمة . ومن ذلك يحاول كمال أن يروى تلك التوجهات التي اظهرتها الطبقة العمالية , بوصفه تعبير ومؤشر على تمتع العمال العراقيون بقوة اجتماعية جديدة فرضت نفسها على حياة المجتمع اليومية , ليدشن بذلك بداية ضرورية للأنتقال إلى مرحلة جديدة في تاريخ الحركة العمالية , أعقبت السنة التي أعلنها فيها استقلال العراق بدخوله عصبة الأمم .

فيما جاء كتابه " أضواء على قضايا دولية في الشرق ألاسط " [43] موضحاً المغزى من بروز المصطلحات التي تم تداولها في الأدبيات الحديثة كما في مفهوم "الشرق الأدنى" و"الأوسط والأقصى" [44], مقرراً أنها مفاهيم سياسية حضارية , برزت استناداً لعوامل مختلفة على مر العصور . إلا انه توقف عند مفهوم "الشرق" ليؤكد انه نتيجة عوامل وممارسات سياسية مختلفة , لا تخلو من اعتبارات عنصرية ,

---

[43] صدر ببغداد سنة 1978

[44] **حتى القرن التاسع عشر كان يطلق اسم «الشرق» على الأراضي الواقعة تحت الحكم العثماني, وأدى دخول أوروبا إلى الصين في نهاية القرن التاسع عشر إلى اختراع مفهوم "الشرق الأقصى» الأمر الذي أفضى بمثابة رد فعل إلى نشوء عبارة «الشرق الأدنى» بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى أدخل الانكلوسكسونيون في مطلع القرن العشرين مفهوم ((الشرق الأوسط)) للدلالة على المناطق التي تمتد من البحر الأحمر حتى الإمبراطورية البريطانية في الهند . وبعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية,عمموا تسمية الشرق الأوسط لتشمل مجمل الدول العربية متخلين بذلك عن عبارة الشرق الأدنى.وفي الولايات المتحدة يطلق الكثير من الكتاب اسم الشرق الأوسط على مجال إقليمي شاسع يمتد من المغرب إلى باكستان. في المصطلح الفرنسي تستعمل عبارتا الشرق الأدنى والاوسط من دون أي تمييز, ولكن من غير ان تشملا شمال افريقيا «أو المغرب» وتغطي هاتان العبارتان المجال الجغرافي الممتد من وادي النيل إلى وادي الهندوس, يشمل الشرق الأدنى والأوسط المشرق العربي والعالم التركي - الايراني (تركيا, ايران, افغانستان)** . للمزيد عن هذين المصطلحين , ينظر : كمال مظهر أحمد , أضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط , بغداد ,1978, ص9

مشيراً إلى ما وردت من آراء مختلفة تسعى إلى تحديد الإطار الجغرافي للشرقين الأدنى والأوسط , مع محاولة عدم إغفال الاشارة إلى ما يعنيه الشرق الأوسط من أهمية خطيرة في قاموس الدول الكبرى . وهو بذلك يسعى لبيان تاريخية تلك الثوابت التاريخية , إلى جانب الحديث عن التغلغل الامريكي لمنطقة الشرق الأوسط منوهاً عن قصد بالبنود الأربعة عشر للرئيس ولسن , وما لها من علاقة بهذا التغلغل إذ مثلت في حينها الصياغة الرسمية الرفيعة الأولى للتغلغل الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط , مدركاً تأثير الانعكاسات العميقة لتلك البنود على عدد كبير من زعماء المنطقة , كما هو الحال في إدراك كمال اتاتورك لها [45] . ووجد مؤرخنا أن العامل الأقتصادي كان وراء إصدار ولسن لبنوده , مستدلاً على ذلك بسياسة الدولة الامريكية تجاه الشرق الأوسط وتغلغلها في هذه المنطقة . ولترصين ما يذهب إليه , عمد إلى إلقاء الضوء على أحداث لاحقة وجد ضرورة التصدي لها , مثل المراحل الأولى للتوجه الامريكي صوب منطقة الشرق الأوسط أواخر القرن الثامن عشر ,اذ وضح بجلاء دور المؤسسات التبشيرية والخيرية الاميركية في الإمبراطورية العثمانية , وما ادته من ادوار خطيرة في التمهيد لهذا التغلغل ,ملتفتاً إلى النهج الذي سلكته الإدارة الاميركية في التدخل في الشؤون الاقتصادية للدولة العثمانية إبان القرن العشرين , حين مهدت لشركاتها أن تحذو حذو الشركات الغربية الأخرى , لا سيما فيما يتعلق بينابيع النفط , بالأخص في الموصل [46] . وحين نعلم أن قرارات المرء هي انعكاس لتوجهاته , فقد عمد إلى استقراء طبيعة حياة ولسن وعهده واتجاهاته الفكرية . مستنتجاً فضلاً عما اورده سابقاً , أن الغاية من تلك البنود في اقل تقدير محاولة لتحجيم أي انتصار يبرز لأي من الأطراف المتحاربة . وهو بذلك يبغي الإشارة إلى المكاسب السياسية والمادية التي حصلت عليه الولايات المتحدة الامريكية , من جراء حيادها المبطن ووجد أن هذه السياسة عدت انعطافة خطيرة في مجرى تاريخ هذه الدولة , حين برزت كقوة عسكرية واقتصادية انعكست على مكانتها السياسية في العالم وهو ما هيأ لها أن تتبوأ مكانة كاريزمية بين الدول الاستعمارية . وهذا الامر دفع بمؤرخنا إلى البحث عن توضيح ما تعنيه من دوافع وما تهدف إليه من أهداف حين اطلقت حملتها الاعلامية للتأثير على الشعوب . وعلى وفق ما طرحته من آراء وتلميحات تخص الشعوب التي تعاني من هيمنة الاستعمار , أورد كمال اعترافات مسؤولة وصريحة إزاء هذا الدافع بالذات . فأشار إلى ما شهده العراق من تجدد حالة الاستعمار وخضوعه بشكل كلي لهيمنة دولة استعمارية أخرى , وكأنه يروم القول بما كانت قد تضمنته تلك البنود من دسائس وما هيأته من اجواء لتغلغل الاستعمار إلى منطقة الشرق الأوسط المهمة . مشيراً إلى ما نوهت به الصحافة وما اثارته من ضجة كبيرة ضد هذه البنود , وأكثر من ذلك , فقد عمد إلى ترجمة مضامين هذه البنود , إلا انه استدرك ما اكتنف البند الثاني عشر من

---

[45] **في 29 تشرين أول اعلنت الجمهورية وانتخب مصطفى كمال باشا بالاجماع رئيسا للجمهورية.**

[46] **كمال مظهر , أضواء على قضايا دولية في الشرق ألاسط , ص27**

تلك البنود من غموض , مؤكداً على حقيقة عدم احتوائه كلمة استقلال الشعوب غير التركية , بل أن كل ما ورد فيه هو كلمة "الأوتو نومي" أي الاستقلال الداخلي أو الحكم الذاتي [47] . واسهب بعد ذلك لبيان ملامح التغلغل الامريكي إلى داخل البنية السياسية التركية , لاسيما بعد ظهور وتبلور الاتجاه الفكري للجناح القوي المؤيد للانتداب الامريكي داخل الحركة القومية التركية . ملمحاً إلى ما شكلته مضايق البسفور والدردنيل من أهمية في نظر أصحاب المشاريع الاستعمارية نحو تركيا . وعلى خلفية هذا السجال السياسي , برز إلى الوجود ما عرفت بالمسألة الارمنية[48] ,مشيراً إلى الدور الفرنسي في استغلال هذه المسألة لغرض تحقيق بعض المكاسب السياسية , في وقت أشار فيه إلى السخاء البريطاني في هذه القضية . وأمام ذلك , أكد كمال أن هذه الدراما السياسية من قبل الدول الاستعمارية , انسحبت بكل حيثياتها , على المشرق العربي حين راحت تلك الدول الاستعمارية ذاتها تحيك المؤامرات في عواصمها وضمن محادثات ومقررات باريس وفي إطار بنود ولسن الأربعة عشر , لاسيما البند الثاني عشر الذي يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط وقد أسهب مؤرخنا في تتبع تحركات الساسة العر ب إزاء قضية بلدانهم . فتحدث عن فرض الحماية البريطانية على مصر والعراق وما رافق ذلك من مشاكل إدارية وسياسية . ومع ذلك , فأنه لم يقتنع بأن ما أورده من حقائق وثوابت تاريخية , يمكن ان تعطي الصورة المتكاملة لطبيعة البنود دون ربطها بالقضية الصهيونية , الأمر الذي دعاه إلى عرض هذا الموضوع ضمن رؤيته لشخصية الرئيس ولسن والصهيونية , موضحاً مواقف حكومته إزاء الصهيونية , ومشيراً إلى إعلان ولسن الذي أكد فيه مساندة حكومته المطلقة لوضع أساس الدولة اليهودية في فلسطين . وفي هذا السياق , تطرق لمساعي بعثة "كنك ـ كرين" بشأن القضية الفلسطينية , منتهياً إلى القول بأن ما أورده من حقائق بشأن دور الرئيس ولسن في قيام الدولة اليهودية , تعطي إمكانية التوصل إلى عدد من الاستنتاجات التاريخية المهمة حول بدايات التغلغل الامريكي في الشرق الأوسط , إلى جانب بيان طبيعة بنود ولسن الأربعة عشر , مؤكداً أنهما موضوعان مترابطان عضوياً فيما بينهما , ومنوهاً بما اطفيت على تلك البنود من التبجيل والتأييد مما دفع عنها كل شك . وهذا بالتأكيد ما يجعل من

---

[47] **المصدر نفسه , ص77**

[48] **انتهجت السلطات العثمانية سياسة التتريك تجاه الأرمن والعرب لكبح جماح انطلاقتهما، والحد منها وإخمادها في النهاية. فأقدمت هذه السلطات على قتل القادة والزعماء الأرمن، اعتباراً من 24 نيسان-أبريل 1915، ثم اتبعتها بعد أسبوعين، وبالتحديد في 6 أيار-مايس 1915 بنصب المشانق للزعماء العرب في دمشق وبيروت، وبدأ إرهاب الطرفين معاً حين أخذ جمال باشا السفاح بالنسبة للعرب، وطلعت باشا السفاح بالنسبة للأرمن، وزملاؤهما أعضاء الاتحاد والترقي بسفك الدماء الأرمنية-العربية على حد سواء، حتى شهدت الأراضي الأرمنية في أرمينيا الغربية والأراضي العربية في سوريا ولبنان والعراق الكثير من الحوادث الدامية. للمزيد انظر دعد بو ملهب عطا الله , المسألة الأرمنية في النظام الدولي المعاصر , القضية الارمنية :تحديات و تطلعات , بيروت , 1996 -**

مهمة الباحث , مهمة صعبة بحيث تتطلب سبر اغوار الأحداث والتوصل إلى استنتاجات , تكمن فيها الغاية من دراسة التاريخ .

ونظراً لما شكلته معاهدة سايكس بيكو[49] من أهمية في تاريخ الشرق الأوسط , فقد تصدى لمناقشتها على ضوء الوثائق الروسية , لأنها المسؤولة عن فضح ما تضمنته تلك المعاهدة من بنود , مؤكداً أن جوانب عديدة من جوانب تلك المعاهدة الخطيرة , لا تزال بحاجة لمن يتصدى لها ويكشف عن مفرداتها وتحديد أبعادها . والتفت إلى البحث في جذور الصراع بين الجبهتين المتحاربتين , وبيان توجهاتهما في السيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية , وما شكلته أهمية المضائق والدور الروسي ومصلحته من أهمية في المحافظة عليها , وهو ما حركها للدخول إلى جانب الحلفاء وتحقيق انتصار أجاز لها دخول إيران والتوغل في داخلها. وأمام ذلك , وجد كمال حتمية تتغير الرؤى وتقاطع الأفكار لا سيما بعد حدوث انقلابات فكرية مثل الثورة البلشفية وما ادته من تغيير خطير في تاريخ روسيا. فتناول معاهدة سايكس بيكو في آذار 1916 , بوصفها واحدة من نتائج الثورة البلشفية . وعلى خلفية ذلك , أشار إلى ما عمدت إليه القيادة الشيوعية من الكشف عن جملة الوثائق التي كشفت النقاب عن طبيعة تلك المعاهدة .ملتفتاً الى لويد جورج بوصفه المنُظّر الرسمي للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط , فتطرق إلى دوره في معاهدة فرساي[50], وكشف عن سيرته السياسية مع الاشارة إلى مساعيه لتوسيع مناطق نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط على حساب الفرنسيين .

وعلى هامش تطرقه للقضية السورية , أشار إلى أهم العوامل التي وجدها قد اثرت فعلاً على تلك المسألة . وبما للموضوع من أهمية , تحدث عن ساطع الحصري[51], سيما وانه شاهد على الأحداث السورية وراقبها عن كثب , موضحا ما اتخذه الأمير فيصل من إجراءات لشل الحركة الوطنية , حالت دون تعبئة الجماهير في سوريا . وأمام ذلك أشار كمال إلى الإنذار الذي وجهه الجنرال غورو[52] إلى الأمير فيصل

---

[49] بينما كان نشاط الصهيونية يتزايد في فلسطين بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908، وبسبب الفساد والرشوة في الإدارة العثمانية، كانت الدوائر الاستعمارية الأوربية ترسم الخطط السرية فيما بينها، لاقتسام الدولة العثمانية، والتي كانت مظاهر تدهورها وانهيارها بادية للعيان . وهكذا توصلت كل من بريطانيا وفرنسا في 16 أيار "مايو" 1916، إلى عقد معاهدة سرية لاقتسام المشرق العربي فيما بينهما، بينما كانت نيران الحرب العالمية الأولى مستعرة بين بريطانيا وفرنسا وحلفائها من جهة والدولة العثمانية وألمانيا وحلفائهما من جهة ثانية , الجمهورية (جريدة) , العدد (200) , 1988, بغداد

[50] وقعت معاهدة السلام في فرساي بتاريخ 28 حزيران (يونيو) 1919

[51] يوم احتل الفرنسيون دمشق، غادر الحصري سورية مع مليكها المبعد عن العرش ،فيصل الأول في رحلاته بين العواصم الأوروبية . وبعد أن توج فيصل ملكاً على العراق استدعى ساطع الحصري الذي كان وقتها في مصر يطّلع على الأوضاع التربوية والتعليمية فيها، ليعمل مستشاراً لشؤون المعارف في الدولة العراقية الجديدة، حيث تسلم طيلة ما يقارب العشرين عاماً عدة مناصب تربوية في بغداد حتى وفاته عام 1968.للمزيد عن شخصية الحصري , يراجع: وليم كليفلاند , ساطع الحصري : من الفكرة العثمانية إلى العروبة ، بيروت : 1983

[52] احتل الجيش الفرنسي دمشق في 23 تموز 1920 بقيادة الجنرال غورو, الذي ذهب في اليوم الثاني الى ضريح صلاح الدين الأيوبي في الجامع الأموي, من أجل أن يناديه قائلا " ها

وحكومته وما أدى إلى التقاطع معه . منوهاً بطبيعة العلاقة التي كانت تربط الحكومة بسلطة المحتل الذي لم يتوانى من استكمال دخوله إلى دمشق , وانهاء حكومة فيصل في سوريا . ولم يغفل مؤرخنا الاشارة إلى السجال السياسي الذي دار بين الساسة البريطانيين والفرنسيين بشأن ما حصل من متغيرات سياسية في سوريا , مؤكداً على ما لوح به لويد جورج[53] من رؤية بلاده إزاء تلك المسألة , والقائه تبعة الأحداث على عاتق بعض الضباط الفرنسيين متخطياً بذلك الطبيعة الاستعمارية لكل الخطط التي نفذت, ومتجاهلاً في الوقت نفسه دور حكومته المدانة فيها [54] . وأمام ذلك , وقف مؤرخنا امام ثمة استنتاجات عرض إليها , مؤكداً أن هذا الموضوع يستحق وقفة خاصة بحكم تشابه الظروف إلى حد كبير وتطابق الزمن كلياً بين ما حدث في تركيا وما حدث في سوريا . في حين اتت الأحداث فيهما بنتائج متباينة للغاية . مؤكداً أن الملك فيصل , كان يمثل الجناح اليميني للتحرك الوطني المستعد للمساومة ابدأ . ووجد انه يمثل الفكر الإقطاعي الليبرالي المشوب ببدايات الفكر البرجوازي النامي . ولم يبلغ شأو العديد ممن سبقوه في هذا الميدان , وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الجزائري[55] . وتطرق في ذات السياق من موضوعه إلى الحديث عن مؤتمر شعوب الشرق في باكو , فاشار إلى المنطلق الفكري لهذا المؤتمر , مستعرضاً شخصية لينين[56]الفكرية بوصفه من دعى إلى عقد هذا المؤتمر . مشيراً إلى أفكاره الجديدة حول المسألة الكولونيالية واثرها على الكومنتيرن الذي تأسس في آذار 1919 لغرض صياغة شعارات نهائية للنضال في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى . وأشار إلى الظرف الذي أدى إلى إعلان الشيوعية لشعارهم الجديد " يا عمال العالم اتحدوا "إلى جانب ذكره الحضور العربي في هذا المؤتمر , لاسيما بعد تفجر ثورة العشرين . منوهاً إلى عاملين أسهما في تعزيز الموقف العربي في هذا المؤتمر , تجسدا بعامل الزمن فضلاً عما اتخذه الاستعماريون من موقف متشدد إزاء هذا المؤتمر[57] , الذي أشار إلى أهم ما تمت مناقشته فيه من قضايا مهمة وحساسة تخص الوضع الدولي ومهمات جماهير الشرق الكادحة , إلى جانب المسألة القومية والكولينيالية والزراعية .

نحن يا صلاح الدين قد عدنا " و كان هذا رداً على صلاح الدين الذي قد قال للصليبيين " انكم خرجتم من الشرق و لن تعودوا إليه , للمزيد عن هذا الموضوع ينظر : علي سلطان , تاريخ سورية (1918-1920): , جامعة بروفانس بفرنسا ، 1987.

53 دافيد (1863-1944م) سياسي انجليزي ورئيس حزب الأحرار، رئيس الوزارة (1916-1922)م.

[54] **كمال مظهر , أضواء على قضايا دولية في الشرق ألاسط , ص179**

[55] **مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد مقاومتها ضد الاستعمار الفرنسي بين 1832 و 1847 .**

[56] **فلاديمير ايليتش لينين (1870 - 1924) . مؤسس الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي والدولة السوفيتية**

[57] **كمال مظهر , أضواء على قضايا دولية في الشرق ألاسط , ص209**

ولأهمية الوثائق في عمل الباحث في التاريخ , التفت كمال إلى البحث فيما صدر عن المؤتمر الأول لشعوب الشرق من وثائق , والتي عرفت ببيان المؤتمر إلى شعوب الشرق وموضوعات في المسألة الزراعية ونداء مؤتمر شعوب الشرق إلى عمال أوربا وامريكا واليابان . فأشار إلى الأهمية التاريخية التي مثلها هذا المؤتمر لاسيما في مجال فضح وعزل الأفكار الخاطئة للماركسين اليساريين الشرقيين , بخاصة فيما يتعلق بنضج ظروف انتصار الثورة الاشتراكية في بلدان العالم الثالث , مؤكداً على وجود شواهد تاريخية كثيرة , تشير إلى الآثار التي تركها هذا المؤتمر , في إطار التأثير العام للانقلاب الفكري الجديد , الذي انتقلت إشعاعاته إلى مناطق شتى من العالم . وأورد حيال ذلك رؤيته إزاء تقرير " مجلس الدعاية والعمل "الذي قدم إلى الكومترن في نيسان 1921 . وفي هذا السياق من تعرضه للتجاذب والتفاعل السياسي في منطقة الشرق الأوسط , عرض إلى بيان أهم ما حدثت من تطورات على العلاقات السوفيتية الإيرانية والعلاقات التركية السوفيتية , إلى جانب العلاقات الحجازية السوفيتية والسوفيتية اليمانية, اعتماداً على وثائق وزارة الخارجية السوفيتية القديمة , بوصفها في تقديره اشارات لأتصالات وقعت بين ممثلي المنظمات الوطنية المصرية والفلسطينية والسورية , بوزير الخارجية السوفيتي جيجيرين ولأكثر من مرة[58].

وفي معرض ذكره للعلاقات بين الاتحاد السوفيتي ودول الشرق الأوسط , نوه بالاعتراف السوفيتي بحكومة الانقلاب السعودي في شباط 1926 , لاسيما وان السوفيت كان يرقب ويتابع مجرى الأحداث السياسية في شبه الجزيرة العربية قبل سقوط النظام الهاشمي في الحجاز . والى جانب ذلك ,أشار إلى مسيرة العلاقة بين الاتحاد السوفيتي وبين اليمن , ووجد أن عملية الكشف عن تلك الصفحات من تاريخ العرب المعاصر , يستحق عناية أكثر من جانب الباحثين لسبر أغوارها , ففيها تكمن تجارب ودروس تاريخية , لا تخلو من كثير أهمية . وبحث في نشوء حركة التحرر الوطني العربي , من خلال دراسة سوفيتية , مؤكداً أن العديد من العلماء والمفكرين السوفييت , تصدوا وبأسلوب علمي إلى مسألة نشوء هذه الحركة وموقعها التاريخي وتطورها وتأثيرها الكبير على تناسب القوى , لاسيما على الصعيد العالمي , ومؤكداً أن ثمة دراسات وبحوث لعدد من المؤرخين السوفييت من أمثال ليبيدريف ولوتسكي وليفين وميرسكي ولاندا ودانتسك , فضلاً عن العشرات غيرهم , تعد نقاطاً مضيئة في عالم الاستعراب إذ وجدها تحدد أولا وقبل كل شيء , وعلى أساس مادي , الطبيعة العادلة للنضال العربي , كأي نضال تحرري , وتعطي الجماهير حقها في خلق وتطوير أحداث ذلك النضال . ولترصين ما يذهب إليه عمد إلى مناقشة ما قدمه المستشرق " ل . ن . كاتلوف " من نتاجات تاريخية , بخاصة كتابه " الجمهورية العربية اليمنية " مستعرضاً مباحثه, ومشيراً إلى توجهاته , ومؤكداً أنه يعد أنموذجاً حياً لدراسة حركات التحرر للشعوب , بأسلوب علمي موضوعي مجرد[59].

---

[58] **المصدر نفسه , ص236**

[59] **كمال , أضواء, ص295**

وفي سنة 1978 يكون الدكتور قد أصدر كتابه الآخر : دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية . **والكتاب بمثابة محاولة لتأكيد هوية الكرد العراقية , وما يكتنفهم من شعور مشترك إزاء قضية بلادهم . وتمسكاً بأحقية الكرد من خلال إسهامهم في بناء تاريخ العراق ,فقد أشار إلى مقدمات الثورة في المنطقة الكوردية , والى الانتفاضة الكوردية الأولى ضد البريطانيين في منطقة زاخو أواخر شهر آذار 1919 , وردة فعلهم إزاء تلك الانتفاضة . إلى جانب ذكره لانتفاضة الشيخ محمود في السليمانية , وإلى ما حدث في باهدينان[60] وانتفاضة تلعفر[61] , ملتفتاً إلى الجانب التنظيمي لتلك التحركات من خلال بيانه أهم الجمعيات التي تأسست إبان تلك الفترة في المنطقة الشمالية , مثل جمعية العهد فرع الموصل[62] . وفي كل ذلك , عول على ما تيسر له من وثائق , أكدت أن أحداث كردستان , وجدت شيئاً من الانعكاس العملي بين الوسط الثقافي العربي في مدينة الموصل . فضلاً عن بيان اثر ما نشرته الصحف المحلية من أنباء كردستان , والتعريف بنشاطهم المسلح ضد قوات الاحتلال البريطاني , لاسيما حركة الشيخ محمود , وهو بذلك يكون قد هيأ صورة جسدت نضال الكرد , ضد الوجود البريطاني على ارض بلادهم .** ووجد أن الشعب العراقي , يعد واحداً من بين تلك الشعوب التي عانت من السيطرة الاستعمارية . ليجعل من إشارته تلك , بياناً واضحاً لمسوغات مقاومة العراقيين للاحتلال البريطاني لبلادهم , بل وجعل من حدث ثورة العشرين , أنموذجا لتلك التحركات الوطنية , مؤشراً ما أسهم به عموم فئات الشعب في هذا التحرك المصيري . ومع انه اقر بتصدي الكثير من الباحثين لموضوعة الثورة , بيد انه نفى ان يكون واحداً من الباحثين, قد اعتمد منهجاً علمياً في تلك الدراسة . إلا انه يثني على ما أوردته جريدة الأهالي في عددها الصادر سنة 1952 حين أكدت فيه على ضرورة وجود مؤرخ يتمتع بحس سياسي وتاريخي , يجعلانه ينظر إلى الثورة العراقية , نظرة العالم إلى الظاهرة الطبيعية , مما يلجئه إلى اعتماد منهج علمي واضح[63] . فبدأ ببحث العوامل المحركة لهذا الحدث , موضحاً المقدمات التي هيأت له, ومصنفاً تلك العوامل إلى

---

[60] باهدينان , المنطقة التي شهدت عملية الأنفال الثامنة في عهد النظام البعثي , ففي هذا الإقليم الجبلي الممتد من زاخو غرباً وحتى نهر الزاب شرقاً , استمرت العمليات من 25/ آب الى 6/ ايلول 1988, بعد مرور 17 يوماً على وقف إطلاق النار مع إيران أي في 15 آب 1988 , حين شن علي حسن المجيد الملقب بـ (علي كيمياوي) هجومه الكيمياوي الشامل على منطقة بهدينان الجبلية .

[61] **انتفاضة مدينة تلعفر الباسلة في الخامس والعشرين من مايس 1919 ضد الانكليز , والتي سماها التركمان في تلعفر بحركة قاجا قاج ,** الف باء (مجلة) , العدد 223, مايس 1985, بغداد , ص31

[62] **- تأسست هذه الجمعية في مدينة الموصل من قبل عبد الله الدليمي , بعد إتمام دراسته العسكرية في الأستانة . وقد فوضته جمعية العهد في تلك العاصمة تشكيل تلك الجمعية في الموصل وحمل ختمها . وانضم إليها عدد من الساسة والعسكريين من أمثال ياسين الهاشمي ومولود مخلص وعلي جودت الأيوبي وفوزي القاوجي من سوريا وغيرهم .محمد هليل الجابري , الحركة القومية العربية في العراق بين 1908- 1914, اطروحة دكتوراه , كلية الآداب , جامعة بغداد, 1980 , ص256**

[63] **الأهالي (جريدة) عدد 27حزيران بغداد , 1952**

داخلية وخارجية , فتحدث عن اثر العامل الاقتصادي المتدهور في تأجيج روح الثورة , وما كان للانكليز من دور فاعل في ذلك التردي[64] .
وفي سياق بحثه في موجودات الخزينة , وجد أن ارتباط العراق وقتذاك ببريطانيا وبعملتها الجنيه الأسترليني , هو الذي أدى إلى تدهور الدينار . وأستكمالاً للواقع المأساوي الذي كان يعيشه الشعب , أشار إلى طبيعة التعامل المجحف الذي كان يتعامل به الضباط الإنكليز مع المواطنين سواء في الجنوب أو في الشمال . مشيراً الى جملة أمثلة كشواهد على ذلك . ووجد أن لهذه العوامل والتي تعد مؤثرات خارجية , بما فيها تنامي دور الحركة الوطنية في إيران وبلاد الشام والحجاز . إلى جانب بروز الحركة الكمالية[65] في تركيا . وأشار إلى ثمة وثائق ومعلومات مختلفة توضح أن الحركة الكمالية التي جابهت جيوش دول استعمارية , تركت بصماتها واضحة على فكر المثقفين العراقيين . والى ذلك , فقد نوه بتقارير سرية بريطانية , أشارت إلى دور علماء النجف وكربلاء في بث الدعاية للحركة الكمالية , مما انعكس إيجابا على نفسية الكرد في بلادهم , على انه لم يغفل الإشارة إلى مؤثرات الثورة البلشفية وما أدته بنود ولسن الأربعة عشر قي توثب أبناء المنطقة الكردية.
وبعد أن هيأ صورة جسدت نضال الكرد ضد الوجود البريطاني على ارض بلادهم , أشار إلى موقفهم في أحداث ثورة العشرين . فعرض إلى ما تطرقت إليه صحافة الثورة من تلك النشاطات , إلى جانب إشارته إلى بعض الشخصيات التي تطرقت إليها تلك الصحافة , واسهب بعد ذلك في توضيح ما قام به الكرد من ادوار وطنية , تجسدت في المشاركة الفعلية في أحداث الثورة , لاسيما عشائر منطقة خانقين وما حصل في منطقة كفري واربيل . وأشار بالمقابل إلى ما اتخذته السلطة البريطانية من إجراءات تعسفية بحق المناضلين الكرد , والتي انسحبت على مجمل مناطقهم حين شهدت إجراءات تعسفية بحق أبنائها .

ولبيان الترابط العضوي بين تحركات الساسة في العراق , أشار إلى مساعي جمعية العهد / فرع الموصل بفضح الممارسات الاستبدادية بحق الكرد . وهو ما هيأ في نفوس أبناء تلك المناطق , أن يديموا روح التمرد والانتفاضة ضد الاستعمار البريطاني في بلادهم[66] .

وفي سياق تصديه للموضوعات السياسية , جاء كتابه " صفحات من تاريخ العراق المعاصر , محللاً وبعمق , تاريخ التفاعلات السياسية لبلاده , اذ تناول جوانب أساسية ومهمة من تاريخ العراق الاجتماعي والسياسي , وقد برز اجتهاده في كثير من مفاصل الكتاب , بما تضمنه من موضاعات مهمة فعلى سبيل المثال , تطرق فيه وبدراسة مستفيضة ومعمقة لواقع الإقطاع[67] في العراق , مع تحديد الإطار الشامل

---

[64] ينظر : دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية .بغداد , 1978
[65] نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك
[66] كمال , **دور الشعب الكردي في ثورة العشرين , ص154**
[67] الأقطاع : Feudallism مأخوذ من كلمة لاتينية متأخرة بنيت على اساسها في اوروباالغربية , مسألة اقتطاع الارض وانتقالها إلى ايدي أخرى حسب اسس وشروط معينة . وقد جاء في المنجد في اللغة والاعلام: الاقطاعة جمع اقطاعات : وهي قطعة من الارض الخراج يقطعها الجند فتجعل لهم غلتها رزقاء . وجاء في " لسان العرب الجزء العاشر ,

لتاريخيته , فدرس مراحله المختلفة بما فيها مرحلة الميلاد أو التكوين ثم مرحلة النمو وأخيراً مرحلة الانحلال والانهيار , مما يهيأ ـ في تقدير المؤلف ـ إلى القاء الضوء على جوانب عديدة خافية عن ماضي البلاد . وفي تقديمه هذا , يرى المؤلف , إن ذلك أمر لابد منه في دراسة الاقطاع في العراق بوصفها قد شكلت الخطوط العامة للإقطاع كنظام وكمرحلة تاريخية لابد منهما , حين دراسة العلاقات الإقطاعية لأي بلد , فهي تسهم في التأسيس لقاعدة دراسة شاملة ومقارنة لهذا الموضوع خصوصاً وانه يرى ان التركيز على الإقطاع في مرحلة الانحلال والانهيار , من شأنه ان يكشف جملة قضايا سياسية واجتماعية مهمة رافقت بروزه وخفوته[68]. وقد انسحبت عنايته تلك , إلى التحدث عن البرجوازية , ومراتبها وسبل التعاون معها , اذ عمد الى تحديد مفهوم البورجوازية ومراتبها والخصائص الأساسية لهذه المراتب , في أطار عام مستنبط من التاريخ الأوروبي بالأساس . والى ذلك , وجدناه يتصدى لموضوع جديد في معظم أبوابه محاولة منه لطرح آراء واستنتاجات جديرة بالنقاش , توخياً لتعميق مضمونها , علها تسهم في فهمٍ أفضل لجوانب محددة من قضايا مجتمعاتنا المعاصرة[69]. وخلال ذلك , تطرق الى بيان التطور التاريخي للبرجوازية , مع تأشيره اهم المراتب المكونة لها , وصولا إلى ذكر ملامح المجتمع الرأسمالي . ليتحدث من ثم عن البورجوازية العراقية , بما فيها تكونها وفئاتها وطبيعتها ووزنها الأقتصادي والسياسي , فضلاً عن بيان جذورها التاريخية , انتهاءاً بقوله: بأنها تبنت شعارات سياسية صحيحة في حدود فهمها للأمور وفي ضوء مصالحها الخاصة. وحدد مؤرخنا العلاقة التناقضة بين موقف البورجوازية العراقية وبين الإقطاع , حين وصفه بأدنى من مستوى طموح الجماهير , الامر الذي وجد له انعكاسات واضحة حتى بعد ثورة الرابع عشر من تموز 70 . وتطرق إلى ثورة العشرين في العراق , منطلقاً في بحثه من اهميتها في تاريخ العراق المعاصر . مستعرضاً ولبيان الاهمية , مجمل ما كتبه المؤرخون والمعنيين بالحركات الوطنية , سواء منهم العراقيون أو العرب والاجانب . ومع ذلك , فهو يجد ان معظم تلك الكتابات التي أشار إليها , لم تنصف الثورة , فهناك الكثير من الجوانب المهمة في صفحاتها المشرقة لا تزال بحاجة إلى التقصي العلمي الدقيق والشامل . وقد خص بالذكر من تلك الجوانب , صحافة الثورة المتجسدة بجريدتي الفرات والاستقلال إذ أن اهميتهما دفعته إلى القول بأن كل عبارة وردت في صحافة ثورة العشرين هي بحاجة إلى

ص153" : والقطيعة ما اقتطعه مني واقطعني اياها , اذن لي في اقتطاعها واستقطعه اياها سأله إن يقطعه اياها واقتطعته قطيعةاي طائفة من ارض الخراج , واقطعه نهراً اباحه له . وفي حديث ابيض بن حمال ,انه استقطعه الملح الذي بمأرب , فأقطعه اياه . قال ابن الأثير سأله إن يجعله له اقطاعاً يتماكه ويستبد به وينفرد والاقطاع يكون تمليكاً وغير تمليك . يقال استقطع فلان الامام قطيعة فاقطعه اياها اذا ساله إن يقطعها له ويبنيها ملكاً فأعطاه اياها . نقلاً عن كمال مظهر أحمد , صفحات من تاريخ العراق المعاصر , دراسات تحليلية بغداد , 1987 , ص8

[68] كمال مظهر أحمد , صفحات , ص17
[69] انظر المصدر نفسه , ص21
70 المصدر نفسه, ص41

الدرس والتأمل , فذلك من شأنه إن يوصل إلى استنتاجات مهمة بالنسبة لتاريخ العراق المعاصر , معززاً ما يذهب إليه بذكر نموذج نادر ورد في جريدة " الفرات" , وهو اول تقويم خطير لشخصية نوري السعيد . ففي الوقت الذي كان يعد من الوطنيين البارزين العاملين في سبيل القضية العربية , نشرت الفرات مقالاً تقاطع مع ما هو سائد أو متداول بشأن سعيه لخدمة قضية بلاده , بل أنها وجدته عميلاً يخدم مصالح البريطانيين ومصالحه الشخصية , لتؤكد على ضرورة الابتعاد عن افكاره والحذر من توجهاته . ومع ذلك وجدنا مؤرخنا يتقاطع مع هذا الرأي بشأن السعيد او الملك فيصل,اذا ما علمنا انه يحاول الكشف عن أن ظلماً وقع على بعض الشخصيات العراقية التاريخية المعاصرة . اذ يرى أن هناك عدد من رجال العهد الملكي ظلموا احياناً , فالملك فيصل لم يعطى حقه فهو كان سياسي بارع ومن الخطأ أن يحكم عليه بمعيار هذا الزمن وليس بمعيار اواخر العهد العثماني عهد الاتحاديين . ويستند في ذلك على بعض المواقف التي وقفها الملك فيصل ، كما في موقفه اثناء تنفيذ (جمال باشا السفاح)[71] احكام الاعدام بالقوميين العرب , لاسيما طرحه امام مجلس المبعوثان. وفضلاً عن ذلك , فلويد جورج وغيره تحدثوا عن موقف الامير فيصل عندما مثل العرب في مؤتمر الصلح في باريس . أما في تقييمه لشخصية فيصل الثورية , فيراه لا يقل عن سعد زغلول [72] في هذا الأمر , مشيراً إلى مواقف كلاً منهما وموضحاً التباين في فلسفتيهما في الوصول إلى اهدافهما , مستشهداً بما قاله عنهما ساسة تلك المرحلة , كما هو الحال فيما قاله (لويد جورج) في مذكراته بان هذا القادم من الشرق ـ فيصل ـ قد سحر الجميع بكلامه واسلوبه المنطقي . واثناء المؤتمر الاول اشار رئيس وزراء ايطاليا (اورلاندو) بأن العرب لهم كل الحق في تأسيس دولتهم وعندما كان العرب يتمتعون باوج الحضارة كانت جميع الدول الممثلة اليوم في المؤتمر تعيش حياة بربرية ، ولم يتحمل (اورلاندو) وخرج عن الاتكيت والعرف وقال "اجل حتى روما" اذن فيصل الاول شخصية متميزة خدمة العراق . ومن الملفت للنظر , أن مؤرخنا راح يركز في كتابه هذا على شخصية نوري السعيد , بوصفه شخصية متميزة , لم تنصف , مما دفع بمؤرخنا إلى الاشراف على رسالة دكتوراه احداهما (لعبد الرزاق النصيري) بدايات تاريخ حياة نوري السعيد من القرن التاسع عشر لغاية 1932 ، والرسالة الثانية (سعاد رؤوف الشيخ محمد) 1932-1945 نهاية الحرب العالمية الثانية , بعد ان أقتنع بأن المؤرخين قد ظلموا هذا

---

[71] **قائد الجيش الرابع العثماني المتمركز في سوريا وفلسطين وقتذاك**

72 ولد عام 1858 فى قرية "ابيانه" مركز فوه التابعة وقتذاك لمديرية الغربية, و كانوالده الشيخ ابراهيم زغلول رئيس مشيخة القرية اى عمدتها. بدأ تعليمه فى الكتاب حيثتعلم القراءة والكتابة و حفظ القران. و فى عام 1870 عندما عين اخوه الشناوى افندى رئيسا لمجلس دسوق, التحق بالجامع الدسوقى لكى يتم تجويد القران. و فى عام 1873 وفد الى القاهرة للالتحاق بالازهر حيث تأثر بالمفكر الاسلامى الكبير السيد جمال الدين الافغانى فقد طبعه على حرية التفكير و البحث و التجريد و الاصلاح كما يرجع اليهالفضل فى تجويد لغته العربية, و من ثم اتجه سعد زغلول الى الخطابة و الكتابة. كذلكتتلمذ على يد المصلح الدينى الكبير الشيخ محمد عبده و قد نشأت بينهما علاقة تفوق علاقة الابن بوالده فشب بين يديه كاتبا خطيبا, اديبا سياسيا, وطنيا , للمزيد يراجع : محمد حسين هيكل (ت1956), مذكرات هيكل (مذكرات في السياسة المصرية) , القاهرة , 1958؛ وانظر: جريدة السياسة المصرية **ملحق عدد 2751, 19 مارس1932م القاهرة**

الرجل بدرجة كبيرة , وهو عراقي مخلص مؤمن بأن العراق يتوجب عليه الاعتماد على دولة كبرى ليردع الاعداء . واورد ازاء ذلك مثالاً , كما في ميثاق بغداد حين ضخم هذا الموضوع وكان نوري يقول في مجالسه الخاصة " انني اعرف ان العراق لا يشكل شئ في نزاع القطبين واعرف دور العراق بالنسبة للحرب القادمة " . كما كان السفير الاميركي في العراق لديه كتاب "العراق في ظل نوري السعيد" اعطاه حقه والعديد من الناس اعطوه حقه . ويذكر كمال انه كان يحمل ضغينة ضد نوري السعيد ، وعندما ذهب الى الاتحاد السوفيتي قال له (اكاريف) احد المستشرقين انكم ظلمتم نوري السعيد وانا متأكد ان تمثاله سيعاد لمكانه عندما تعرفون ما هي حقيقته . وحينها دهش كمال وقال كيف يمكن لانسان ماركسي ان يقول ذلك ، فانفعل وقال مامعناه "عيش وشوف" ، وبالتدريج علم كيف كان يلعب نوري من اجل العراق . وهو ما دعاه أن يغير رأيه لدرجة كبيرة[73] .

وفي هذا السياق من تحديده الجوانب المشرقة في ثورة العشرين , والتي لم تدرس أو تمحص , اشار الى وثائق هذه الثورة , مؤكداً على وجود ملفات ضخمة تتعلق بوثائق سجلات وزارة الخارجية الفرنسية , والخاصة بأحداث العراق خلال صيف وخريف سنة 1920 . واستكمالاً لتلك الاشارات المهمة لجوانب الثورة , تحدث عن الأطار الزمني لها بما فيها البداية والنهاية , وكذا الحال بالنسبة لعوامل قيام الثورة ونتائجها , ومن ثم أصدائها . ولغرض ابراز اهمية صحافة تلك الثورة , عاد مرة أخرى إلى الحديث عنها منوهاً بالظروف الموضوعية لصدور تلك الصحافة , فضلاً عن بيان اطارها الزمني منتقداً القصور الذي بدا عليه الباحثين والمؤرخين العراقيين , ازاء تحديد هذا الاطار . لينتهي إلى تقويم صحافة ثورة العشرين بقوله أنها تعد مؤشراً مهماً لما حدث من تحول نوعي ملموس في نضال العراقيين وأسلوب تحركهم السياسي بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة . ولترصين هذه الاهمية , اورد بعض ما تضمنته أعداد تلك الجرائد , من معلومات , لم يلتفت إليها المؤرخون وان تطرقوا لها , فكان بشكل مقتضب يفتقر إلى اسناد مادي مقنع . فضلاً عن اشارته إلى وثائق تاريخية نادرة وردت نصوصها وتفصيلات اصدارها ضمن مواد جريدتي الفرات والاستقلال , لانها القت الضوء على ابعاد الثورة ونشاطات قادتها وانصارها من العراقيين . وأكد أن هذه الوثائق لم يطلع عليها المؤرخون, مشيراً إلى بعض تلك النصوص التي نشرتها الصحيفتان , مستخلصاً منها : أن هذه الصحافة حفظت لنا وثيقتين تاريخيتين تنطويان على اهمية كبيرة , تؤشر احدهما بداية جديدة لموقف الحركة الوطنية العراقية من الثروة النفطية , في حين تضم الأخرى اول تقويم مبكر لشخصية نوري السعيد , الذي لا يختلف اثنان في انه اشهر شخصية عراقية ظهرت فوق المسرح السياسي ابان العهد الملكي"[74] .

وفي سياق حديثه عن الصحافة , تناول الفن الصحفي في صحافة ثورة العشرين , مشيراً إلى مطبعة الشيخ صادق الكتبي ـ المطبعة التي طبعت فيها أعداد الجريديتين ـ والمح إلى ما تتأطر به عنوانات الموضاعات المنشورة , بما في ذلك العنوان والسعر

---

[73] **كمال مظهر , مقابلة معه , كلية الاداب , نيسان2002**

[74] **كمال مظهر أحمد , صفحات, ص74**

, وكذلك أشار إلى موضوعاتها , مستخلصاً رؤيته ازاء ما نشرته تلكم الصحيفتان , مقرراً إن جريدة " الاستقلال " البغدادية التي صادف ظهورها أيام الثورة , وقد تلقت الاستقلال النجفية نبأ صدورها بحرارة , تعد الجريدة الحليفة لصحافة الثورة استناداً لموضوعاتها المساندة للثورة[75] .

وناقش في موضوع آخر تأثير السياسة بالأقتصاد , وتأثير الأقتصاد بالسياسة , من خلال تأثر الدول المرتبطة بمواثيق وبتبعية سياسية واقتصادية بالدول التي شهدت هذه الأزمة . فاستعرض مسارها وظروف ظهورها ونتائجها وانعكاساتها على الدول الأخرى . ولكي لايبتعد عن صلب الموضوع , طرح تساؤلاً يبحث عن اسباب ظهور هذه الأزمة في العراق , وحين الاجابة عن هذا التساؤل , ارتأى الإشارة إلى جملة حقائق احصائية , لتوضيح ابعاد اندماج السوق العراقية بالسوق الرأسمالية العالمية , إلى جانب توضيحه النتائج التي ترتبت عن هذا الاندماج , منتهياً إلى القول بأن العراق لم يكن بوسعه تجنب الوقوع تحت تأثير تلك الأزمة التي هزت البلدان الرأسمالية بعنف في الفترة الواقعة بين سنتي 1929 و1932 . ومن ثم أستعرض تلك الآثار , وما ترتب من ضرر تلقاه الاقتصاد العراقي بسبب قرار تأسيس الكتلة الاسترلينية , وامتناع الحكومة الايرانية عن تحويل اثمان البضائع التي كان التجار العراقيون يرسلونها إلى ايران . والى ذلك , فان مؤرخنا لم يغفل ان يكشف عن اهم الاجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية , لمواجهة تلك الأزمة , بما فيها الغاء الرسم الصادر المفروض على الحبوب إلى جانب تخفيض رسوم الميناء بنسبة 30% مع تخفيض مؤقت لأجور نقل الحبوب بوساطة السكك الحديدية التي كان الأنكليز لا يزالون يسيطرون عليها , وغير ذلك من الاجراءات الادارية والمالية التي اتخذتها الحكومة للحيلولة دون توسع لآثار الأزمة . وليس ذلك فحسب , فقد أشار المؤلف إلى مجمل الاجراءات التي اتخذتها المؤسسات الاجنبية العاملة في العراق بطرد العمال , فكان من الطبيعي ان تبرز انعكاسات ونتائج وآثار هذه الازمة على الشعب , والتي وصفها مؤرخنا بالسياسية , على أنها ظواهر جديدة , لا تعدو ان تكون مردودات سياسية وفكرية رافقت المشاكل الاجتماعية والتناقضات القائمة وقتذاك , لينتهي إلى القول : انه ومع ظهور بوادر انتهاء الازمة الاقتصادية في العالم الرأسمالي لاسيما في إنكلترا منذ سنة 1932 , فقد بدأ الانتعاش يعود إلى الحياة الاقتصادية في العراق أيضا , الأمر الذي عكس مرة أخرى مدى ارتباط العراق بعجلة الرأسمالية العالمية . فأشار إلى بعض تلك البوادر بما فيها التحسن الذي طرأ على اسعار المنتوجات الزراعية والحيوانية , وعلى حركة تصديرها إلى الاسواق الخارجية[76] .

وضمن الصفحات المهمة التي بحثها مؤرخنا , تصديه لشخصية بكر صدقي , والمسألة الكردية , مستقرءاً الوضع السياسي قبيل وقوع الانقلاب سنة 1936 , ومؤشرا اهم القوى السياسية والاجتماعية الجديدة التي لم توفق خلال المرحلة الأولى من الانقلاب , إلى وضع تقدير دقيق للموقف السياسي الذي استجد , وهو في

---

[75] كمال مظهر أحمد , صفحات , ص76

[76] المصدر نفسه , ص87 وما بعدها

تقديره ما اساء إلى مسار العملية السياسية وقتذاك . وإزاء هذه الاشكالية , لم يتردد مؤرخنا ان يفصح عن حقيقة ما اراد البعض من اثارته لفكرة ميل بكر صدقي لتأسيس دولة كردية واصفاً هذا الامر , بُدعة خلقها اعداء النظام الأنقلابي الجديد , مؤكداً على ثوابت وأدلة يراها منطقية بالأمكان استنباطها من خلال التمعن في العديد من الاحداث السياسية التي رافقت النظام الانقلابي , والتي تبين بوضوح , موقف بكر صدقي لا من الحركة الكردية فحسب , بل تجاه ابسط حقوق الشعب الكردي [77] .
وعرج بعد ذلك على ذكر اهم ما قامت به حكومة بكر صدقي من اعمال , سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي , ليأت من ثم إلى تقييم سياسة هذه الحكومة[78] .
وتواصلاً في الكشف عن اهم المحطات السياسية في تاريخ العراق المعاصر , فقد أثنى مؤرخنا على تلك المحطات بقوله : إن تاريخ العراق المعاصر , سجل شرفٍ مليءٍ ببطولات وتضحيات خيرة ابناء الشعب , محدداً انتفاضة كانون الثاني سنة 1948 , بأنها صفحة مشرقة في هذا السجل. فراح يسهب في بيان ملامح تلك الانتفاضة وطبيعتها , وخصائصها , إلى جانب حديثه عن الظروف التي قادت إليها ومستوى فشلها ونجاحها في تحقيق اهدافها , وتأثيرها على الصعيدين الداخلي والخارجي , بما له من تأثير في واقع العراق السياسي[79] .
واستناداً لما يراه كمال من اهمية خطيرة شكلتها الثروات النفطية ودورها في السياسة العالمية , فقد بحث في سياسة الدول الرأسمالية في منطقة الشرق الأوسط بما يتعلق باستغلال النفط في هذه المنطقة , معولاً في ذلك على ما اشارت إليه بعض المصادر ممن تصدت لهذه الموضوعات . كما في كتاب " النفط وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرقين الأدنى والأوسط " لمؤلفه "ر. برانوف" [80] , اذ تلقي موضوعاته الضوء على السياسة الأمريكية الخارجية وأساليبها لتحقيق مثل ذلك التأثير . وقد احصى الدكتور كمال مجموع الاتحادات الصناعية الامريكية بما فيها شركات النفط الكبيرة , ومقدار رساميلها مركزاً على الشركات الأكبر والمعروفة بـ" العمالقة الخمسة " مستعرضاً تاريخها , وموضحا مستوى علاقة الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة [81] , والسبل التي اعتمدتها تلك الحكومة للاستحواذ على الثروات النفطية في الشرقين الأوسط والادنى , وكان من بين ما أشار إليه من تلك الاساليب , اللجوء إلى الاستعمار الجديد . وقد ارفق , وفي سياق حديثه عن موضوع النفط , اشارات لمقادير النسب المئوية التي شكلها نفط الشرق الأوسط من مجموع واردات الأسواق الرأسمالية من النفط , مع عدم اغفاله الإشارة إلى ما تدره تلك الثروات من اموال تمتلأ بها خزائن شركات العمالقة الخمسة . وليس ذلك , فحسب ,

---

[77] **المصدر السابق , ص122**
[78] **المصدر نفسه , ص117**
[79] **المصدر نفسه , ص 133**
[80] **وهو كتاب باللغة الفارسية , طبع في موسكو/ دار العلم سنة 1977 , ويقع في 272 صفحة , يتألف من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . وقد نشرت جريدة "الجمهورية " في عددها الصادر في 17آب , تقريضاً مركزاً عن الكتاب بقلم الدكتور حكمت شبر , ينظر كمال : المصدر نفسه , ص187**
[81] **وهي على التوالي :أكسون وتكساس أويل وموبيل أويل وجلف أويل وستاندرد أويل كومباني أوف كاليفوورنيا**

إنما وجدناه يقتبس من المؤلف المشار إليه سابقاً , السعي لتمكين دول اوبيك قادرة على تشكيل قوة اقتصادية كبيرة بامكانها التأثير بشكل فعال على اهم القضايا العالمية الحساسة . وأمام هذا الطرح , يتقاطع مؤرخنا مع مؤلف هذا الكتاب , الذي زعم ان الاحتكارات الامريكية وعلى رأسها العمالقة الخمسة , قد بدأت تفقد مواقعها السابقة في الشرقين الأدنى والأوسط منذ بداية السبعينات , أذ يرى إنه في اغلب الحالات , تكون الصورة قد انقلبت من " صورة السيد المطلق " السابق إلى "شريك" , بمعنى امتلاكها لنسبة من انتاج النفط في السعودية وقطر والبحرين واتحاد الامارات , فضلاً عن تصنيعها البقية الباقية من الانتاج . ومع ذلك , يرى ان الولايات المتحدة ودول اوروبا , تشكلان سوقاً نفطية , وان الحكام العرب يفهمون ذلك جيداً . وعليه فأن نزع ـ ملكيات ـ تلك الشركات النفطية من دون تعويضٍ مرضٍ , من شأنه إن يؤدي إلى فقدان العرب لأسواقهم , والبحث عن مصادر أخرى للطاقة . ومن هذه النافذة ينطلق مؤرخنا في تحديد طبيعة العلاقات السياسية بين الانظمة العربية التي تمتلك ثروات نفطية وبين الدول الراسمالية .

وحسبما نعلم ان اهتمام الدكتور كمال مظهر بتاريخ ايران الحديث والمعاصر , يرقى الى الستينيات , استناداً لتخصصه , ومن ذلك راح يبحث في موضوعات هذا التاريخ [82] , حين وجد ان في وقائعه , ما هو جدير بالتصدي لها . لاسيما تلك الحروب التي قامت بين ايران والروس , موضحاً اهم ما اعتقده من اسباب , ادت الى هذه الحرب , مركزاً بشكل واضح على ما حصل للبلدين من تفاوت في تطور كليهما والذي انعكس على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية , مستعرضاً في هذا السياق , اهم الاحداث التي شهدتها ايران منذ القرن السابع عشر , والذي ادى الى تراجع اقتصادياتها بسبب اكتشاف طرق جديدة لا تمر بأراضيها عبر الهند , بعد ما حصل من اكتشافات جغرافية بالقرنين الخامس عشر والسادس عشر , ووجد ان هذا التدهور , قد ادى الى دفع الطبقة المتنفذة في البلاد الى فرض ضرائب اضافية على الفلاحين , مما زاد الأمر سوءاً , وانسحب على شتى جوانب الحياة . وحين التفت , الى الجانب الروسي , وجد انه على العكس من الجانب الايراني , فأن هذه الدولة كانت قد شهدت تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية مهمة في تاريخها الحديث , كان من اهمها ولادة اولى العلاقات الرأسمالية في الانتاج , والذي ادى الى نمو التبادل التجاري على الصعيد الاقتصادي , والى امتزاج اجزاء مختلفة من البلاد في وحدة متماسكة على الصعيد السياسي , وقد أحال سبب هذا التحول الى وجود قياصرة اقوياء تمكنوا من تحقيق هذه الانجازات , لتغدو روسيا من جراء ذلك , بحاجة الى بناء اقتصاد وجيش قوي واسطول متطور , والى نظام اداري مركزي حديث . وتماشياً مع هذه التراتبية في الكشف عن مستوى اقتصاد كل من ايران وروسيا , رأى ان هذا التحول في روسيا كان قد وجد ظرفاً مناسباً لنفوذٍ روسيٍ محتم , استناداً لعدم تكافؤ مستوى اقتصاد هذا البلد مع البلدان الأوربية , مما يعني ضرورة ايجاد اسواق ومنافذ اقتصادية اخرى لها , علها ترفع بها الى مستوى ما تتميز به البلدان الاوروبية المتقدمة . ونوه بالحجج الروسية التي تذرعت بها في

---

[82] انظر كتابه : دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر , بغداد , 1985

تحرشاتها بأيران , مستعرضاً بدايات التوجه الروسي صوب هذا البلد , مؤشراً الاهتمام الروسي المبكر بمناطق الشرقين الاوسط والاقصى , والذي جاء تحت ذرائع دينية . وتحدث فضلاً عن ذلك عن الحملة الفارسية وما آلت اليه من نتائج , اتاحت للروس نفوذاً داخل ايران , وهو ما دفعهم الى السعي لتحقيق مكاسب كانت ايذاناً بتلغلغل روسي صوب السواحل الجنوبية لبحر قزوين [83] . وفي سياق ذلك , اشار الى مسار المواجهة بين البلدين وتحولاتها , وما ترتب عليها من متغيرات سياسية , لاسيما بعد بروز نادر شاه الافشاري [84] , وما حصل بينه وبين القيادة الروسية من تقارب في وجهات النظر , هي في الواقع , تصب في مسار العداء المشترك للدول الغربية . ولأن اساس هذه العلاقة مبني على اساس المصالح , فمن المؤكد ان لا تدوم تلك المغازلة بين الطرفين , لتتحول الى سابق عهدها من العداء , وتقع المواجهة المسلحة بينهما . وهنا فأن مؤرخنا يشير الى الضوء الاخضر الذي اتاح لأطراف أخرى ان تتدخل في هذا النزاع , بما فيها فرنسا وبريطانيا , فعمد الى بيان ملامح تلك التفاعلات السياسية التي تمخضت عنها حرب (1804- 1813), ليأت دور بريطانيا وفرنسا في التدخل , ومن ثم العمل على الحصول على مكاسب جديدة , وعدم افساح المجال للروس , ان يستحوذا أكثر . فعقدت معاهدة " كلستان " مشيراً الى بنودها والى ما تضمنته من اجحاف بحق الايرانين لصالح الروس , ليعرض بعد ذلك الى ما فسرته القيادة الروسية وقتذاك , لتعمل على محاولة الحصول على مكاسب اقتصادية أخرى , ولأن التاريخ ما هو الا حلقات متصلة ببعضها , وجد كمال ان هذه التحرشات الروسية , مهدت لحرب جديدة قامت سنة 1826 , فأستعرض مفاصلها والخطة التي اعتمدها المتحاربون , لا سيما الايرانيون , بعد ان اتفقوا مع ضباط بريطانيون للهجوم المباغت على اراضي ارمينيا الشرقية واذربيجان الشمالية وجورجيا , مشيراً الى ما تخلل تلك المعارك من هزائم متكررة للجيش الفارسي , مما اجبرها على قبول ابرام معاهدة تركمانجاي في 22 شباط 1828 , وهو ما تسبب في حدوث تداعيات اقتصادية واجتماعية ونفسية , كشف عنها كمال , بوصفها آثاراً ترتبت عن الهزائم العسكرية . وفي كل ذلك , كان يبحث عن مسوغ يجيز للايرانيين ان يجعلوا من تمادي الروس , وعدم احترامهم لهيبتهم, ظرفاً ملائما لردة فعل شعبية , تؤدي الى شحن الواقع السياسي للبلاد , فجاءت مذبحة السفارة الروسية في طهران,التي جاءها الدكتور بالتفصيل , كردة فعل على السلوك السياسي للروس في طهران . وانتقى من بين الساسة ,"سازانوف" وزير خارجية روسيا والمستر غراي , وزير خارجية الملكة المتحدة ,اذ وجد في ترجمتهم , تعزيز لأهمية دراسته هذا الموضوع وتوضيح لأهم التفاعلات السياسية التي أحاطت

---

[83] كمال , دراسات في تاريخ إيران , ص14

[84] **كان نادر شاه الافشاري ضابطا بالجيش الصفوي في عهد الشاه طهماسب الثاني الذي عرف عهده بالوهن والفوضى ؛ وخلال ذلك تزوج نادر من جوهر شاد اخت طهماسب الثاني واصبح فيما بعد قائدا عاما للجيش وعزل طهماسب الثاني ونصب مكانه عباس الثالث وفرض نفسه مساعدا له وفي عام 1736م اعلن الدولة الافشاري , للمزيد عن هذه الشخصية يراجع :** عباس إسماعيل صباغ , تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية , بيروت، دار النفائس1999 م

بأحداثه . والى جانب ذلك , اورد مدخلاً معرفياً كشف فيه عن حمى التفاعلات السياسية والتكالب الدولي الذي شهدته الساحة الايرانية , بما في ذلك بيانه لأهم المساعي التي بذلها الألمان والبريطانيون لتحقيق مكاسبهم في هذا البلد . واشار وفي سياق بيانه للتدخلات الاجنبية في المنطقة , الى المحاولات الروسية في استقطاب المناطق المقدسة في العراق , بما في ذلك كربلاء والنجف , سعياً للضغط على الدولة العثمانية لسحب قواتها من اذربيجان . ولأهمية وضرورة الكشف عن النظام الحاكم والذي شهد تلك الاحداث في ايران , عمد الى الحديث عن سيرة رضا المازندراني[85] والعرش الأيراني , فتناول تاريخ الاسرة البهلوية , مع تلميحات الى الخيوط الاولى للاستعمار الجديد في الشرق الاوسط , متطرقاً الى اهم ما شهدته ايران من تحولات اجتماعية واقتصادية ابان النصف الثاني من القرن التاسع عشر , بحكم اندماجها بالسوق الرأسمالية , وكأن مؤرخنا يروم القول بتمهيد النظام الايراني وقتذاك , الطريق امام الدول الغربية للتغلغل في داخل البلاد , فكان ذلك بمثابة تحد واجه الشعب , لاسيما الطبقة المثقفة منه , والتي سارعت الى التصدي لهذه التوجهات , مع اشارته الى انخراط رجال الدين في اللعبة السياسية , سعياً وراء المكاسب . واستناداً لهذه التطورات , يرى أن الحركة الوطنية قد برزت وهي تحمل شعار لا للحكم القاجاري ولا للوجود الاجنبي مما فت هذا الأمر في عضد الحكم القاجاري , وهو ما أدى الى انهياره , ليأت دور أسرة أخرى لحكم ايران , وجد مؤرخنا , من الاهمية ترجمة اهم رجالها فأختار من بينهم رضا خان منوهاً بأهم المؤثرات الفكرية التي بلورت شخصيته السياسية , مع بيان مدى التزامه بصداقة البريطانيين , وضرورة التمسك بهم لضمان مستقبل ايران , وهو بذلك يحاول القول بمسؤولية هذا الشخص عن تمكن البريطانيون من ضمان سيطرتهم على مواد المعاهدة المبرمة بينهم في (9 آب 1919) , فكان هذا التدخل من البريطانيين , مدعاة لمحاولات تدخل أجنبي آخر , تمثل بالتحركات الفرنسية والأمريكية , لاسيما بعدما شهدت ايران تبدل مستمر لحكوماتها , تحت مظلة البريطانيون . وهذا الأمر , يراه مؤرخنا تمهيداً لانقلاب "حوت" [86] . وكان من الطبيعي ان يخفي مثل هذا الحدث دوافع وعلل , تباينت وتناظرت في مسمياتها وفي مآربها . ومن اجل الافصاح عن هذه الأمور , وجدنا

---

[85] **هو العلامة المحقق محمد إسماعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني الخواجوئي المتوفى سنة 1173 هـ . عرف بالمازندراني نسبة الى منطقة في شمال إيران ، لعل آباؤه وأسلافه كانوا يسكتونها ، أو كانت ولادته فيها ، كما يظهر من بعض آثاره . والأصفهاني نسبة إلى بلدة معروفة في إيران ، كان منشأ ترعرعه فيها إلى , تنظر ترجمته في كتابه : الدُّرَرُ المُلتَقَطَةُ في تفسير الآيات القرآنية , جمعه ورتبه وحققه ، السيد مهدي ألرجائي ، دار القرآن الكريم , إيران , دت**

[86] **في اليوم الثالث حوت عام 1299 نسبة إلى التقويم الفارسي , الذي يصادف يوم الحادي والعشرون من شباط سنة 1921, شهدت إيران انقلاباً قاده ضياء الدين طباطبائي سياسياً ورضا خان عسكرياً والذي أدى إلى سقوط وزارة سباهدار أعظم التي لم تعش سوى أيام معدودات , ليدشن بذلك بداية تحول سياسي في تاريخ إيران أكتمل بسقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية الحاكمة . للمزيد ينظر : كمال , دراسات في تاريخ إيران , ص127**

مؤرخنا يترجم للشخصية الفاعلة في الانقلاب , وهو الطباطبائي مستشفاً من محطات سيرته التي استقرأها بتركيز مفيد , ثمة تفسير موضوعي يتعلق بتوجهه الفكري كان قد سوغ له , دخول المعترك السياسي والذي ادى به الى هذا الانقلاب , الذي اسهب في بيان مفاصله , وكيفية نجاح الانقلابيون في دخول طهران , وما تبع ذلك من احداث , مشيراً الى ما جرى من مغازلة بين قائد الانقلاب العسكري وبين البريطانيون في ايران . وتطرق الى الخطوط الاساسية لسياسة الانقلابيين على الصعيدين الداخلي والخارجي , لينتهي الى الحديث عن الظروف التي ابعدت ضياء الدين الطباطبائي عن القيادة , او ما عرف بالأنقلاب الثاني , معرجاً على بيان خطواته , ومشيراً لأهم شخوصه[87] .

ونظراً لما شكلته المؤسسة الدينية في ايران من اهمية في تاريخ ايران المعاصر , فقد بحث مؤرخنا في بعض الحقائق التي تخص المؤسسة الدينية في هذا البلد , بما في ذلك امكاناتها الاقتصادية الكبيرة , ونفوذها في القضاء , مسترسلاً في استقراء وضع هذه المؤسسة ومنتهياً الى القول بأنها لا تختلف عن البابوية الكاثوليكية في اوروبا , وهو بذلك ينبش من سيرة هذه المؤسسة , ما من شأنه ان يفصح عن سيرتها بكل حيثياتها وطروحاتها , مستعيناً ببعض الشواهد المعبرة عن هذا الاتجاه , نافذاً من خلال ذلك الى بيان اهم الاسباب التي ادت الى تفاقم الصراع بين المؤسستين الدينية الدنيوية الايرانية , موضحاً الظروف التي حسمت هذا الصراع لصالح المؤسسة الدينية . والى جانب ذلك من بحثه في تاريخ ايران السياسي , تطرق الى الكشف عن حقائق النضال التحرري الأذربيجاني في ايران , بعد أن استعرض بأيجاز تاريخها السياسي وما تعرضت له من اشكال الاحتلال . وفي كل ذلك , وجد الدكتور كمال , ان ثمة عوامل جعلت هذا الشعب , يتحرك للتخلص من حكامهم وقتذاك , بما في ذلك الانتفاضات , وما تمخض عن تأسيس الدولة القاجارية من ارتباط مصير اذربيجان بأحداث الحروب الأيرانية ـ الروسية ونتائجها بصورة مباشرة , فضلاً عما نتج عن مقاومة الاذربيجانيين للايرانيين , وكيفية دخول الروس الى تبريز عاصمة اذربيجان , وما ادى هذا الحدث من وقوع حربا 1804- 1813 و 1826- 1828 مما تتسبب في تقسيم اذربيجان الى جزئين متساويين داخل ايران وروسيا . ووجد مؤرخنا ان هذا التفتيت لوحدة هذا الشعب , كان عاملاً اسهم الى حد بعيد في بلورة الوعي الفكري والسياسي للاذربيجانيين الجنوبيين . واشار الى الظرف الذي جعل الاذربيجانيين يحملون السلاح ضد الروس لاسيما اواخر سنة 1911 , مما مهد الطريق امام الروس للاستيلاء على اذربيجان الايرانية , مستعرضاً احوالها خلال الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) , وما تمخض عن هذه الظروف من بروز رجل قيادي قدر له ان يلعب دوراً كبيراً في تاريخ ايران عموماً , وهو الشيخ محمد خياباني[88] , الذي ترجم له بأيجاز , مستعرضاً , مساهماته السياسية في تاريخ ايران

---

[87] كمال , دراسات في تاريخ إيران , ص138 وما بعدها

[88] **ولد الشيخ محمد خياباني عام 1298 هجري قمري في قضاء خامنه من توابع مدينة تبريز.ووالده الحاج عبد الحميد خامنه كان تاجراً يعمل في روسيا. دخل في طفولته دار الكتّاب وتعلم القرآن. ثم سافر مع والده إلى روسيا وتعلم في متجره هناك الاقتصاد. وبعد فترة عاد إلى موطنه. التحق بالمدرسة الطالبية في تبريز لدراسة العلوم الدينية، ودرس الفقه والأصول على**

السايسي , متطرقاً الى طبيعة العلاقة بين ثورة اكتوبر الروسية وبين النضال التحرري الاذربيجاني في ايران , وما آلت اليه الحرب من نفوذ بريطاني في ايران , مما اضاف الى حركة النضال دفعاً آخر , نتج عنه انتفاضة (انتفاضة خياباتي) سنة 1920 . واشار كمال , الى اهم ما عمدت اليه الحكومة من اساليب تعسف , مورست ضد اعضاء الحركة الوطنية.

واستمر كمال في تتبع سير هذه الحركة , ليصل بها الى سنوات الحرب العالمية الثانية , وبروز الحزب الديمقراطي , والتفاف الجماهير حول هذا الحزب , واجراء انتخابات المجلس الوطني الاذربيجاني سنة 1945 , الا ان هذا الامر , كما يراه مؤرخنا , لم يرق للحكام الايرانيين , الذين عارضوا هذا التوجه , لاسيما بعد اسناد البريطانيون والاميركان لهم . فتم ضرب الحركة الوطنية , التي لم تتمكن من اعادة نشاطها , الا بعد سنوات عديدة . وتحدث عن جملة حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران , موضحاً قوة انتساب هذا الشعب الكردي لبلادهم ايران , من خلال بيان اماكن تواجدهم , لاسيما المناطق الشمالية الغربية , مع اشارته لاصولهم العشائرية وجذور التاريخية . ولم يغفل الإشارة إلى معاناتهم المريرة مع تعاقب أنظمة الحكم المختلفة. وفي المقابل , فأن مؤرخنا ذكر ردود افعال الشعب الكردي

يد حجة الإسلام الحاج ميرزا أبو الحسن أنكجي وكان تلميذه المبرز. ودرس علم الهيئة والنجوم والحساب لدى الفلكي المعروف ميرزا عبد العلي، وسبق أقرانه في هذا العلم. ونتيجة لسفراته الكثيرة كان يجيد اللغات العربية والروسية والفرنسية إلى جانب الفارسية والآذرية. وخلال دراسته تعرف على أحد كبار علماء تبريز وهو المرحوم آية الله الخامنئي (جد الأمام الخميني). ثم تزوج ابنته خير النساء. ونظراً لسكنه في حيّ خيابان بتبريز سمّي بـ (خياباني).ورغم أنه كان شاباً عندما ثار ستارخان، إلاّ أنه أصبح بعد وفاة ستارخان المنظّر الفكري والسياسي لثورة تبريز. ولم يتجاوز الثلاثين من عمره عندما انتخب ممثلاً عن أهالي تبريز في المجلس الوطني في دورته الثانية، وبرز نجمه. وفي نطقه في المجلس حول المعاهدة الروسية المذلّة هاجم الروس بشدة، مما أدى إلى نفيه. واثر توقيع معاهدة 1919م ، أعلن الشيخ ثورته في تبريز ضد الحكومة القاجارية؛ فعُطّلت الأسواق بأمره، وسيطر الثوار على مراكز الشرطة والحكومة، وسقطت المدينة في أيديهم، وذاق أهالي تبريز طعم الحرية لمدة ستة أشهر قبل أن تتمكن قوات الاستبداد من السيطرة عليها مجدداً. وفي 21 شهريور (الشهر السادس الايراني) عام 1299هـ ش وعندما كان الكثير من الثوار خارج المدينة لقمع اعدائهم من المحليين، هاجمت قوات الشاه المدينة وقمعوا باقي الثوار والأهالي وسيطروا عليها. وبعد سقوط المدينة، أمر مخبر السلطنة بالاتيان بالشيخ خياباني حياً أو ميتاً. وفي يوم 29 ذي الحجة 1338هـ ق داهموا منزل الشيخ فلم يجدوه، فاستعانوا بكلاب للكشف عن مكان اختفائه، فداهموا منزل جاره الشيخ حسن علي ميانجي، فوجدوه هناك، وأطلقوا النار عليه مباشرة ولم يقاومهم الشيخ لأنه كان قد وعد الشيخ ميانجي بعدم مقاومتهم داخل بيته. ثم بعد قتله قطعوا كفّه، ثم سحبوا جسده وأخذوه إلى مهلهلين إلى بلاط مخبر السلطنة. وبعد أن نظر إليه أمر بدفنه في مكان ما. فدفن الشهيد محمد خياباني في مقبرة الشعراء بتبريز وأصبح قبره مزاراً للثوار والأحرار يرددون عنده كلمته الشهيرة:"إن قيمة الحياة في أن يعيش الإنسان في عزّ وكرامة، وإلاّ فالموت أفضل نعمة لمن يريد العيش في ذل الخيانة والمتاجرة بوطنه", انظر ترجمته في كمال مظهر : دراسات في تاريخ إيران , ص212

إزاء تلك التحديات , فتناول بالحديث اهم الشخصيات التي قادت انتفاضات ضد الحكومات المتعاقبة من امثال الشيخ عبيد الله بن السيد طه الشمزيني [89] إلى جانب اشارته إلى ما عرف بالحركة الجنكلية , مع الاشارة الى ما لعبه أسماعيل اغا شكاك , المعروف بسمكو[90] من دور في الحركة التحررية الكردية في ايران . وفي المقابل , فان كمال , عرج على بيان سيرة الجانب الآخر من معادلة الصراع بين الطرفين , حين تطرق الى ما انتهجه رضا شاه من نهج , ازاء التحرك الكردي , مروراً بما آلت اليه اوضاع ايران في مراحل الحرب العالمية الثانية , والنفوذ الروسي والبريطاني فيها . وفي سياق استقرائه للتحولات السياسية في تاريخ تلك الحركة التحررية , اشار الى تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني,اذ وجده نقلة نوعية في النضال التحرري الكردي في ايران . لاسيما وان ايران , بقيت تعاني الأمرين من سياسة حكامها فضلاً عن التغلغل السياسي الأجنبي على اراضيها كنتيجة حتمية , لما آلت اليه الحرب العالمبة الثانية . ومن ذلك وجدناه يستقرأ صفحات من تاريخ العلاقات الايرانية ـ الروسية[91] , اذ اعاد اولى تلك الصلات بين البلدين الى العصر الوسيط , مروراً

---

[89] الذي قاد انتفاضته ضد حكومة ناصر الدين شاه , والتي انتهت الى قمعها بقوة ومقتل الآلاف من الاكراد , ينظر كمال , تاريخ إيران , ص268

[90] **شغلت حركة سمكو آغا صفحة بارزة في سجل تاريخ إيران المعاصر، فالحديث عن سمكو آغا، يعني بالضرورة الحديث عن كردستان وإيران في أحرج المراحل التي مرت بها المنطقة قبل وأبان وبعد الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من إعلان إيران الحياد، إلا أن أراضيها تحولت طيلة سنوات الحرب إلى ساحة قتال بين جيوش الجبهتين المتحاربتين، بما فيها أراضي كوردستان إيران، التي انطلقت منها الشرارة الأولى للحرب في ميدان الشرق الأوسط، كما يقول م . س . لازريف،وسمكو هو التحريف الكوردي لـ إسماعيل، فهو إسماعيل آغا أبن محمد باشا أبن علي خان أبن إسماعيل خان من عشيرة الشكاك ، موطنها غربي بحيرة أورمية على الحدود، وكان إسماعيل آغا المعروف بـ سمكو رئيس هذه العشيرة، استطاعت هذه العشيرة أن تسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي، وفي مراحل عديدة خارج المناطق التي تعيش فيها، منذ أيام الجد الأكبر لـ سمكو" إسماعيل خان " لما تميزوا به من خصال قتالية نادرة، وهذا ما جعل غالبية رؤوساء هذه العشيرة، تصمد وتقاتل ضد الإيرانيين، وفي أحيان أخرى ضد الترك.لعب سمكو آغا دوراً بارزاً في النضال التحرري الكوردي، وكانت حركته تستهدف التحرر القومي، ويرجع تاريخ بروز إسماعيل آغا الشكاكي " إلى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى، ولا سيما بعد أن قتلت السلطات الإيرانية شقيقه الأكبر جوهر آغا غيلة في العام 1905، لاتصاله بالثوارالإيرانيين، فمنذ ذلك الوقت أصبح سمكو على اتصال وثيق بعبد الرزاق بدرخان وبالروس الذين أشاروا إلى أسمه ونشاطاته في وثائقهم الدبلوماسية، وقد ورد عنه في تقرير روسي خاص : تقريباً منذ العام 1914 أصبح أسم سمكو معروفاً على نطاق واسع في الدوائر الدبلوماسية الروسية، والبريطانية، والإيرانية، ما جعل رضا خان (شاه لاحقاً) وفي البداية حين تسلم السلطة في إيران، ولإدراكه مدى تأثير وقوة ونفوذ سمكو آغا، أن يعقد علاقات صداقة معه، فتظاهر بالاحترام والتقدير لشخصيته، ولم يستطع أن يعلن نفسه شاهاً، إلا بعد أن قضى على حركتي سمكو في كوردستان، و الشيخ خزعل في عربستان . انظر الدكتور كمال مطهر أحمد , كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى , ترجمة محمد الملا عبد الكريم , ط2,بغداد , 1984 , ص165**

[91] **المصدر نفسه , ص269**

بالثورة البلشفية 1917 , وما ترتب من عداء ايديولوجي بين النظامين الأيراني والماركسي . موضحاً الخط البياني المتموج لتلك العلاقة وما اداه من توجه دولي محموم لدولة إيران مروراً بابرام اول معاهدة في 26 شباط 1921 بين الاتحاد السوفيتي ,انتهاءاً بما حصل من ازمة جديدة انعكست على مجمل جوانب العلاقات بين الطرفين , مع بيان التوجهات الالمانية الهتلرية والبريطانية والاميركية تجاه وايران وانعكاس ذلك على علاقة إيران بالاتحاد السوفيتي [92] . وواضح أن مؤرخنا أراد بهذه الاطلالة من الكشف عن التوجه الدولي صوب إيران , وضع مدخلاً معرفياً للحديث عن تاريخ ايرن الحديث والمعاصر , معولاً على ما تضمنته الوثائق الروسية من معلومات ازاء تلك الحقبة , من خلال تتبعه تزايد الاهتمام الروسي بأيران , منذ عهد بطرس الكبير , وما تم ابرامه من معاهدات بين الطرفين , ومؤكداً على ان العلاقات الدولية في عصر الامبريالية , يتضمن وثائق ومعلومات مختلفة تخص ايران وتؤلف مصدراً اصيلاً ومهماً لدراسة تاريخها الحديث[93] .

وفي سياق اهتمام مؤرخنا بتاريخية الشعب الكوردي , فليس من الغريب على القاريء والمتتبع لنتاجه أن يلمس , انه بهذا التوجه , لم يكن سوى باحث يتابع تاريخ , لا نقول انه تاريخ مضيع , بقدر ما اعتراه من اهمال وابتعاد ليس بقليل عن سرد واقعي لتاريخ هذا الشعب , وهو امر سببته عوامل سياسية ليست بخافية على أحد . وبحكم تتلمذنا عليه وجدناه يتعاطى مع تاريخ الكرد , بشكل وكأنه امام تحد يجبره على التمحور حول مسائل , لربما كان غيره يفضل عدم الخوض فيها . وتلك بالتأكيد مزية تسجل له . فهو في كثير من مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته ولقاءاته , كان يؤكد على ضرورة متابعة حيثيات تاريخ الكورد , فالظروف السياسية كادت أن تغيّب تاريخ هذا الشعب بأكمله . وقد بلغ من استئثاره بكتابة تاريخ الكرد , انه تمكن من خطف المبادرة من ايدى المستشرقين السوفيت الذين كانوا يرومون وضع خطة حول كتابة تاريخ هذا الشعب . فكان من بين تلك النشاطات , كتابه " كردستان" وقد يكون السبب المهم الذي دفعه للتصدي لهذا الموضوع , هو ارشيفات الاتحاد السوفيتي ـ سابقاً ـ التي كانت عامرة بالوثائق والمعلومات المهمة عن احداث كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى , مشيراً إلى المستكرد السوفيتي " م. س . لازاييف " والأكاديمي " كردليفسكي"[94]ودوريهما في حفظ جوانب مهمة من تاريخ الكرد . وهو تاريخ اكتنفه شيء من الغموض بسبب ما ادخل عليه من التشويه والتحريف . ولاشك أن مثل هذه الاخفاقات في اظهار تاريخ شعب يصارع من اجل البقاء , قد دفع بمؤرخنا كمال أن يولي اهتماماً مميزاً لاعادة كتابة تاريخه . فكان حصيلة هذا التوجه عدداً من المؤلفات لعل اهمها كتابه" كردستان في زمن الحرب العالمية الأولى . إذ تطرق في فصله الأول إلى بيان بروز الاطماع الاستعمارية وبداياتها , لاسيما وان الصراع ما بين الشرق والغرب , ليس بوليد الساعة , انما

---

[92] **المصدر نفسه , ص274**

[93] **المصدر نفسه , ص276**

[94] **الأكاديمي ف.أ. كرد ليفسكي (1876-1956) واحد من أهم المستشرقين السوفييت والعالم , متخصص ضليع في الدراسات التركية . أنجز حوالي 300 عمل علمي , وتتمتع تقييماته بأهمية خاصة, ينظر : كمال , كردستان في زمن سنوات الحرب العلمية الأولى , هامش ص13**

يرقى إلى عهود قديمة . وكانت منطقة كردستان , تعد واحدة من بين تلك المناطق التي عانت الأمرين نتيجة هذا الصراع , مؤكداً على دور العامل الاقتصادي في هذا الصراع , حين أشار إلى تكالب دول العالم الاستعماري على تلك المنطقة من جراء غناها بالثروة النفطية , إلى جانب موقع كردستان الستراتيجي في قلب الشرق الأوسط , بما يمثّله من قوة مؤثرة وذات اهمية في تحديد سياسة تلكم الدول إزاء مستقبلها . ونظراً للشراكة السياسية التي كانت قد جمعت الحلفاء , فقد برز الروس شأنهم شأن الإنكليز , حين اشاحوا عن نواياهم اللثام . فتحدث عن تأريخية تغلغل الروس في كردستان , وتحديداً رغبتهم في الوصول إلى المياه الدافئة , وهو ما ادى إلى وقوع عدة حروب بينهم وبين العثمانين ووجد مؤرخنا بأن دخول ايران في حرب ضروس مع الروس , اضاف بعداً آخر امام الاخير حول اهمية منطقة كردستان . ولم يقتصر اهتمامهم بالكرد على النشاطات ذات الطابع الاستراتيجي الصرف , انما رافق ذلك نشاط واسع , ارتبط بالعمل الدبلوماسي السلمي الذي تمخض عنه نتائج مهمة , وجدها مؤرخنا تستحق بعض التوضيح لاعطاء الموضوع ابعاده الحقيقية[95] .

وعلى وفق ما اراده من توثيق التاريخ الكوردي , فقد أشار الى أهم المصادر التي عول عليها في هذا المجال بما فيه عناية المستشرقيين السوفييت واسهامهم في تثبيت جوانب مهمة من هذا التاريخ , إلى جانب الكم الهائل من الأرشيفات والتقارير الدبلوماسية والعسكرية والتي كان لها الفضل الكبير في توثيق هذا التاريخ .

وفي مبحث آخر من كتابه , تطرق مؤرخنا إلى بيان جذور التوجهات الاميركية صوب المناطق الكردية حين اعادها إلى نشاط المؤسسات التبشيرية والخيرية الاميركية في منطقة الشرق الأوسط وتحديداً سنة 1820 . فتحدث عن التطور التاريخي لهذا النشاط في المنطقة , إلى جانب اشارته إلى النشاط الفرنسي في تلك المنطقة[96] .

ومن ذلك يتضح أن كمال كان يبغي من وراء عرضه لتلك النشاطات , قراءة النشاط الاستعماري في منطقة كردستان[97] مع الكشف عن المبدأ الذرائعي الذي كان الغربيون

---

[95] المصدر نفسه , ص53

[96] كمال , كردستان في سنوات , ص68

[97] ان اول من اطلق كلمة كردستان وخاصة فى مناطق سكناهم الاصلى فى ايران هو السلطان السلجوقى سنجر . فقد ذكر الباحث الغربى لى سترينج فى كتابه الاراضى فى شرق عصر الخلافات الصادر عام 1930 حيث يقول (فى وسط القرن السادس للهجرة ، الثالث عشر ميلادى قسم السلطان السلجوقى سنجر مقاطعة الجبال الى قسمين، واعطى للقسم الغربى وبالتحديد المناطق الخاضعة لكرمنشاه اسم كردستان، وعين ابن اخيه سليمان شاه حاكما عليها). اما تسمية شمال العراق بكردستان العراق فيرجع الى القرن السابع عشر، عندما حاول الانكليز تجزئة الامبراطورية العثمانية .. ثم جاء بعده المقيم البريطانى فى بغداد كلاويدوس جيمس ريج، الذى يعتبر من الاوائل البريطانيين الذين زاروا شمال العراق، واطلق ايضا كلمة كردستان لاراضى عراقية، وعين حددودها فى كتابه (قصة الاقامة فى كردستان، وفى خرائب نينوى القديمة). وقد حدد بدقة حدود ماسماه بكردستان العراق. فيقول (حصلت من عمر اغا - احد اشراف الكرد فى السليمانية - القائمة الموجودة فى الحاشية جميع مقاطعات هذا القسم من

يلجؤون اليه لتحقيق مصالحهم في البلدان الأخرى , ومنها كردستان . وقد تجلت عواقب هذا الاهتمام ابان سنوات الحرب الأولى بوضوح حين انعكست على أحداث تلك الحرب ونتائجها بالنسبة للشعب الكردي .

وتواصلاً مع نهجه المؤسس على فهم التاريخ وميله الواضح في استكناه مفاصله , قاده حسه التاريخي إلى تحسس الساخن من احداث التاريخ , فكتب عن الصورة التي ظهرت عليها الدولة العثمانية , وقد تخلخلت اركانها , وتداعت قواعدها , اشارة إلى بوادر الحرب العالمية الأولى , فعصف الريح بتلك الدولة , وغزتها الكولنيالية , لدرجة أن احد قادة الأمبراطورية , أعترف بأن هذه الأمتيازات , بمثابة قيود أثقلت كاهل الدولة العثمانية . وقد تمخض عنها بروز ما عرف بـ "مؤسسة القرض العثماني"[98]. وتطرق كمال إلى نهج الدولة العثمانية في التعامل مع القوميات الأخرى حفاظاً على مصالحها , فأشار إلى برز ما عرف بتشكيلات الفرسان الحميدية من الاكراد إلى جانب تشكيلات اخرى , ارادت الدولة العثمانية منها , زج أكبر عدد ممكن من العشائر الكردية في اتون حرب ضروس حفاظاً على حدود الدولة العثمانية ضد الروس في مقابل اغراءات لرؤساء تلك العشائر , فضلاً عن اشارته لعدم نجاح تلك الخطط منوهاً بالاسباب التي حالت دون ذلك [99].والى ذلك , وجد كمال أن هذا الامر,ادى إلى بروز الشعور القومي على اشده , فتعرض لتلك النشاطات السياسية والاجتماعية وآلية تكاثر الجمعيات والمنظمات الكردية . ولأهمية الجانب الاعلامي للتحركات السياسية , فقد أشار إلى عدد من المجلات التي برزت حينذاك , وما قدمته من نشاط , إلى جانب تطرقه لما آلت اليه الاحوال السياسية , انتهت بحصول انتفاضات شعبية سنة 1914 في منطقة بدليس وغيرها . ووجد كمال أن هذا التفاعل السياسي , ادى إلى بروز ظاهرة تاريخية مهمة , اخذت بالتبلور قبل قيام الحرب العالمية تتعلق بظهور بوادر التفاعل العضوي بين نضال الكرد والشعوب الأخرى ضمن الامبراطورية العثمانية . ووجد أن ما حصل في البلقان من نجاحات , الهمت الكرد حافزاً نحو الأستقلال . واشار إلى تنامي التقارب بين الشعبين العربي والكردي ,فعرض إلى وثائق , شكلت في رأيه دلالات عميقة في اطار موضوعة بحثه[100] .

وضمن فصل الكتاب الثالث الذي حمل عنوان " اتون الحرب " الذي بدأه بلمحة عامة عن الظروف التي دفعت الدولة العثمانية إلى دخول الحرب في جبهة واحدة مع المانيا , مع القاءه بالضوء على الخطط التي وضعها من اجل تحقيق الاهداف ضمن حساباتها التي اظهرت عدم دقتها مع تسارع الاحداث التي تتابعت منذ الاشهر

كردستان، الذى يبدأ من حدود بغداد , جون ماكدونلد كيز , رحلة الى اسيا الصغرى وارمينيا وكردستان عام 1818 , بيروت , 1955, ص34

[98] تأسست بموجب مرسوم المحرم الذي صدر في العام 1881 . وهي مؤسسة خاصة للاشراف على قروض الدولة العثمانية . وكان يديرها مجلس إدارة اعضاؤه من ممثلي الدول الاجنبية الدائنة , فكان لديه جهازه الإداري الخاص الذي تجاوز عدد العاملين فيه , خمسة الاف شخص منحوا حق جباية الضرائب .لقد كانت مؤسسة إدارة القرض العثماني تشكل بحق , دولة قوية مصونة داخل دولة هزيلة منحلة , كمال مظهر , كردستان , ص82

[99] المصدر نفسه , ص92

[100] المصدر نفسه , ص121

الأولى للحرب , التفت كمال إلى وضع الكرد ابان تلك الحرب , مؤكداً أن الاتحاديين اهتموا ومنذ بدأ الحرب , بأقحام الكرد في اتونها . وأشار إلى العشائر الكردية التي رفضت نداءات الاتحاديين المتكررة بشأن الجهاد ضد المحتلين الغربيين[101] .
وعلى وفق منهجه التحليلي, مضى مؤرخنا إلى دراسة آلية الصراع الذي كان يدور بين الزعماء العشائريين الكرد وبين الاتحاديين , مما ترتب عليه هروب اعداد كبيرة من الخيالة الكرد من صفوف الجيش العثماني , وهو تأكيد على غلبة الصلات الابوية في القبيلة الكردية . وناقش الموقف الروسي من هؤلاء الكرد وكيفية استدراجهم إلى جانبهم في الحرب . إلا انه وجد ضرورة الاشارة إلى ما لقيه هؤلاء الكرد من سوء معاملة على ايدي الروس , فعرض إلى بعض تلك الوقائع التي تشير إلى ما يذهب إليه, مؤكداً أن هذه التصرفات دفعت بالكرد إلى التمرد على الروس والانقلاب ضدهم , ومقاومتهم[102] .
ويلتفت كمال إلى وضع الكرد في إيران في حضور التجاذبات السياسية والغزل العثماني الالماني داخل المناطق الكردية الايرانية ,ليسهب في بيان ما حصل على ارض ايران من مناوشات وتفاعلات سياسية انسحبت على كردستان العراق في ربيع 1916 , حين توغلت القوات الروسية في عمق أراضي كردستان ولم تتوقف حتى قيام ثورة اكتوبر 1917. فتطرق بعد ذلك إلى بيان آخر مرحلة من مراحل دخول القوات البريطانية إلى العراق ووصولهم بغداد . وفي سياق اشارته للنشاطات الفكرية والسياسية للكرد ابان تلك المرحلة , اشار إلى صدور جريدة " فهم الحقيقة الكردية "في بغداد , وما أداه البريطانيون من جهود لدفع رؤساء العشائر الكردية العراقية إلى حمل السلاح ضد العثمانيين . وخلص إلى حقيقة مؤداها أن تلك الحرب ادت إلى وقوع تغيرات سياسية واقتصادية مهمة في معظم ارجاء كردستان , لاسيما القسم الجنوبي منها والذي اصبح في ذلك الحين تحت السيطرة البريطانية المباشرة . وفي الوقت نفسه , فأن احداث الحرب العالمية الأولى , كانت قد تركت في اعوام الحرب نفسها , اثراً كبيراً على الوضع السياسي للشعب الكردي , وجلبت إلى دياره الدمار والخراب[103] .
وفي سياق ابراز الجانب النضالي للشعب الكوردي , عمد كمال إلى الحديث عن تلك الانتفاضات التي شهدتها المناطق الكردية ضد الوجود الاجنبي على اراضيها , منوهاً بما عمد اليه الشيخ محمود من مواجهة هذه القوات في كلا العهدين , إلى جانب الحديث عن تحديد التنظير الفكري لمسألة الحكم الذاتي للكرد , على انه مسألة ارتبطت اساساً بمسيرة النضال الكردي ابان سنوات الحرب والذي ادى إلى رفع الوعي القومي بينهم , والاحساس بالغبن الذي لحقهم . وذلك ما ادى بالتالي إلى انعدام ثقة الكرد بالعثمانيين , مما ترتب عليه عواقب وتبعات خطيرة , مستشهداً بامكانية عرض مئات الصور المؤلمة عن مآسي تلك الحروب في كردستان , وما ترتب عليها من غلاء في المعيشة ومن خسائر بشرية مهمة , مؤشراً سلبيات تلك المرحلة وبروز فئات مستغلة تنامت مع استغلالها لظروف المواطنين المتدهورة , لينتهي إلى

---

[101] المصدر نفسه , ص130 وما بعدها
[102] كمال , كردستان , ص154 وما بعدها
[103] المصدر نفسه , ص162 وما بعدها

القول بأن سنوات الحرب , لم تجلب للجماهير الكردية , سوى الدمار وعاهات وعوز . ملقياً بتبعة ذلك على الدولة العثمانية وسياستها[104] .

وتواصلاً في ابراز سيئات الحكم العثماني , فقد ناقش القضية الارمنية ومحاولات العثمانيين التنصل منها . ولكي يعطي توضيحاً لطرحه هذا , عمد إلى مناقشة مسألة الارمن , ضمن بحثه " الكرد والدم الأرمني المراق " [105] إذ تحدث عن الجذور التاريخية للشعب الارمني ونضاله ضد صفحات الاحتلال من الرومان إلى الايرانيين , مفصحاً عن طبيعة العلاقة بينهم وبين الكرد , بوصفهما شعبين متجاورين . إلى جانب اشارته إلى مستوى اقتصادهم وظروف معيشتهم وحركات التحرر التي برزت لديهم , ليعرج من ثم على بيان أهم العوامل التي أسهمت في التقريب بين الشعبين الأرمني والكردي بما فيها ظروفهم الأجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم , إلى جانب معاناتهم من التسلط الأجنبي . ومن الواضح أن كمال اراد من بيان تاريخية هذا الشعب , أن يوضح ما قيل من دور كردي في مذابح الأرمن الى جانب بيانه التطور التاريخي لأرمينيا الشرقية والاشارة إلى تطلعاتهم للاتجاه صوب روسيا , ورغبة الروس في التطلع إلى ضم ارمينيا إلى مناطق نفوذها . فهو يرى أن هذا التوجه , هو الذي اثار العثمانيين الذين كانوا يسعون إلى احتلال ارمينيا الغربية , مما دفعهم الى الانتفاضة ضدهم . وبالمقابل اشار كمال إلى ردة الفعل العثمانية إزاء هذا التحرك في آب وايلول 1894 , حين قاموا بالمذبحة الأولى في ساسون , وبعد سنة من ذلك وقعت المذبحة الثانية في استنبول واستمرت لأكثر من يومين . فاسهب في بيان فضائع تلك المذبحة وما ترتب عليها من تداعيات . ولم يغفر مؤرخنا لما اسهم به بعض الكرد في تلك الواقعة لينتهي إلى تقيم هذه المسألة بقوله : أن التعصب الديني الأعمى والتخلف الحضاري كانا سببين رئيسيين دفعا بالكثير من الكرد إلى السعي لتحل عليهم بركة الرب من خلال الاسهام في قتل الكفار , مؤكداً أن عدداً من الكرد يعتقدون أن قتل ارمني , يعد جهاداً , محدداً هؤلاء بجماعة الفرسان الحميدية . وعول في ذكر هذه الوقائع على عدد من الوثائق , وجد في مضامينها توضيح للابعاد الحقيقية للاطار العام للقضية وبشكل موضوعي , مما سيعطي المؤرخ إمكانية اكبر لبيان حجم الاسهام الحقيقي للاكراد ضمن هذه القضية . فأشار إلى برقيةٍ لوزير الداخلية طلعت باشا ارسلها إلى والي حلب فضلاً عن مذكرة رفعها السفير الالماني إلى الصدر الاعظم سعيد حليم باشا في 4 حزيران 1915 بشأن تأييد المانيا بما وصفته ابعاد الارمن عن شرقي الاناضول . وتناول إلى جانب ذلك , وبأيجاز موقف الرأي العام العالمي والدول الكبرى إزاء مذابح الأرمن , مع الاشارة إلى اسباب عدم التحرك الدولي الاوروبي ضد السلطان عبد الحميد . ليخلص إلى القول تارة أخرى بأن تلك المذابح , كانت قضية اكبر واعمق من أن تكون حصيلة التحسسات الدينية العمياء لدى الكرد وتخلفهم . ونوه بوجود وثائق وأدلة كثيرة تؤكد ان الكرد , لم يكونوا سلبيين من الارمن , مستشهداً بمواقف وعلاقات وسبل دعم للارمن من قبل الاكراد على تأكيد ما يذهب اليه . منتهياً إلى القول بأن الارمن لم

---

[104] كمال , كردستان , ص201 وما بعدها

[105] المصدر نفسه , ص235

يكونوا سوى ضحية قصر النظر لبعض الفئات الحاكمة وأطماع الدول الكبرى التي تجسدت بعد أن وضعت الحرب اوزارها[106] .

وفي فصل آخر من فصول كتابه , تحدث كمال عن اطماع الدول المتحاربة وخططها في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية , لاسيما المانيا وروسيا وبريطانيا . فضلاً عن بيانه توجهات المحادثات السرية التي جرت بين الحلفاء , مؤكدا أن مصير الشعب الكردي , كان من ضمن مصائر الشعوب الأخرى , التي هضمتها تلك الدولة المتحاربة . وتناول بالشرح ما تمخض عن ثورة اكتوبر 1917 من نتائج وكذا الحال بالنسبة لخطاب لويد جورج في الخامس من كانون الثاني 1918 وما اعلنه الرئيس الاميركي ولسن من بنوده الاربعة عشر امام الكونكرس إزاء القضايا الدولية الخاصة بالحرب والسلام ومصائر الشعوب وحقها في تقرير المصير . وأمام ذلك وجد كمال أن اقل ما يمكن أن يقال عنها , أنها لم تستطع أن تجنب البشرية مأساة حرب عالمية ثانية[107] .

وفي سياق توريخه لتاريخ الكرد , لاسيما مدينة كركوك [108] , والتي لا يخفى مقدار ما حصل عليها من تكالب دولي, بالاخص من دولة تركيا بما يتفق ومصالحها الاثنية . فضلاً عن بروز توجهات سعت إلى سياسة التطهير العرقي منذ بداية النصف الأول من القرن العشرين لاغراض سياسية , لا سيما بعد العثور على كميات كبيرة من النفط والتي تقدر بحوالي (7.5%) من إجمالي الاحتياطي العالمي , مما سيتيح لشعوب هذه المناطق امتلاك سلاح فعال , فيجعل من الأكراد قوة سياسية وإقتصادية لا يستهان بهم . ومن ذلك فـللصراع على كركوك يجتاز الحدود الاقليمية للعراق , ليمتد الى دول الجوار بما فيها ايران وتركيا وسوريا . فمنذ عشرينيات القرن العشرين , كان العراق دولة لا تمتلك سيادة تامة , لاسيما وان الاستعمار البريطاني , كان يخطط دائماً , لأظهاره بصورة تابع لسياسته . الأمر الذي دفع بدول الجوار الى السعي للحيلولة دون دمج كركوك بالمجتمع العراقي , لاسيما تركيا التي ترى في كركوك مورداً اقتصادياً خطيراً لها . في وقت راحت الحكومة العراقية , تعمل على تغيير الطابع القومي لكركوك ـ كما اشرنا ـ بالشكل الذي يتفق والمصلحة العليا للعرب اي ضمان الأمن القومي العربي على حساب الشعب الكردي . وكذا الحال بالنسبة لسوريا التي تخشى أي نجاح للاكراد , لأنه يعني تهديد لها . في حين كانت ايران , متيقنة ان استحواذ الكورد على كركوك , من شأنه ان ي مهد لطريق أسهل امام ضغط اميركي مباشر على ايران . ويبدو ان هذا الوضع العالمي المتأزم ازاء كركوك , قد شكل هماً مزمناً لدى مؤرخنا, الذي وجد في نفسه ميلاً واضحاً للكشف عن تاريخية هذه المدينة . فجاء كتابه " كركوك وتوابعها, حكم التاريخ والضمير , دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق " كشفاً عن تقديره لأهمية البحث في تاريخ المدن ، وفي تاريخ مدينة رئيسية مثل كركوك ، التي استشف ما افرزته التقلبات السياسية من غمط لحقوق أهلها . فوجدناه لا يستهدف استثارة ذكريات

---

[106] **كمال , كردستان , ص236 وما بعدها**

[107] **المصدر نفسه , ص351**

[108] أنظر كتابه : كركوك وتوابعها , حكم الضمير والشعب , **مصدر سابق**

محببة ، أو إشباع فضول أبناء هذا الجيل بما كانت عليهم مدينتهم في زمن ماض ، وإنما لأن هذه المدينة" تمثل البؤرة التي ترتكز فيها معظم النشاطات الإنسانية لحضارة ما ، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية ، أم اجتماعية أم ثقافية"، فهو يقول " من الثابت تأريخياً إن مدينة كركوك قد تم بناؤها من قبل اللوبيين أو الخوريين , وهما شعبان أديا دوراً اساسياً في تكون الشعب الكردي الحالي. وورد اسم اللوبيين في الكتابات القديمة التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد "[109]. وقد جاء تصديه لمثل هذا الموضوع , ادراكاً منه لنوع الوعي العام الذي تشعر به مجموعة الشرائح والفئات الاجتماعية بمتانة ما يصل بينها من روابط . وهو وعي مركب يتسامى على الروابط القبلية أو الأسرية أو حتى الروابط الاقتصادية المباشرة ، يمكن للمرء ان يتلمسه من خلال الاحساس العميق بقيمة ما تعنيه المدينة في وجدان سكانها وبما يمكن أن نسميه (روح المدينة) أي الانتماء إلى مجموعة القيم التي تمثلها هذه المدينة" بمعنى الإحساس بروابط , تصل بين سكان مدن عدة في الإقليم الواحد ، وهو ما كان يعني وعياً وطنياً وقومياً"، مؤكداً وبأصرار مؤرخ , قد هضم التاريخ واطلع على مجمل أحداثه , انه لا يمكن لأية مجموعة بشرية خارج نطاق المدينة أن تؤسس بديلاً لتلك الروح ، مهما صفت دماؤها ، وخلصت أعراقها ، لأنها تعجز عن بلوغ مستوى إدراك ذلك الوعي المركب . وفي الـ (نبذة التاريخية)لكتابه يقدم مؤرخنا مادة تاريخية مكثفة عن تأريخ الشعب الكردي [110] . اما عن علاقة الكردوخيين بالكورتيين فقد كشف عن الأصول الأثنية للكرد والذي تكون نتيجة انصهار واندماج عدد من الأقوام مع بعضها البعض ، وهم : اللولوبيون والخوريون والسوباريون والكوتيون والماديون ، أو الميديون . ويبدو ان هذه الرؤية الزمته ببحث الجذور التاريخية لنشأة المدينة , ليجد ان اللولوبيين أو الخوريين ـ كما اشرنا ـ يعدان المكون الرئيسي لكركوك التاريخية , مستنتجاً ذلك من خلو الكتابات السومرية

---

[109] كمال **مظهر أحمد , كركوك وتوابعها, حكم التاريخ والضمير , ص5**

[110] **بعض المؤرخين يُرجع اصل الكرد الى الهوريين سكان مملكة ميتانى سنة 1500 قبل الميلاد. ومنهم من يعتبر ان اغلب الاكراد من الميدين، وحتى بعض المؤرخين الاكراد يركزون على هذه النظرية بدون تقديم الدليل والاثبات على صحتها، حيث كانوا يعتبرون ان عصرهم الذهبى بدأ فى القرن السابع قبل الميلاد فى مملكة الميديين، فهذه النظرية اذن ضعيفة وحتى ربما مختلقة . ومع توسع الدراسات حول تاريخ الكرد بدأت تنعدم تدريجيا نظرية ارجاع اصل الكرد الى الميديين . و بهذا الصدد يقول برنارد لويس (لايزال تحديد اصل الاكراد موضع خلاف تاريخى، رغم ادعاء معظم اكاديمى الكرد على الاصل الميدى، الا ان هذا الادعاء يلاقى صعوبة فى الاثبات) , في حين يرجع البعض الاخر اصولهم الى الاسكيتيين . وقد ذكر المؤرخ ماكدويل المختص فى تاريخ الكرد، ان كلمة الكرد لا تعنى اسما للعرق بل كان يطلق على المرتزقة البارتيين الساكنين فى جبال زاكروس . وبعض المؤرخين اشاروا الى ان اصلهم مشتق من الكردوخيين ، وقد تغير هذا الاعتقاد فى الفترة الاخيرة ، لان الكردوخيين ليسوا من اصل ارى، بل يعتبرون الكورتيين الذين يعيشون فى القسم الشرقى من بلاد الكردوخيين، جبال زاكوروس، هم من اجداد الكرد (مينورسكى). اما المؤرخ ماكدويل المختص في تاريخ الكرد فأنه يرفض هذا الاستنتاج ويقول (ان اصطلاح كورتى كان يطلق على المرتزقة البارثيين والسلوسيين الساكنين فى جبال زاكاروس، وانه ليس اكيدا اذا كانت تعنى لغويا اسما لعرق), للمزيد ينظر : مينورسكى , الاكراد ملاحظات وانطباعات , , موسكو ,1915**

والأكدية من ذكر اسم كركوك ضمن اسماء المدن التي قام ملوك سومر وأكد بتشييدها . ولترصين ما يذهب إليه , ذكر أن " كركوك كانت تعرف بأسمين ـ ارابخا واليلاني ـ أي مدينة الالهة[111] . وفي ذات السياق , أشار الى أن كركوك كانت تعرف باسم نوزي , وهو الاسم الذي اطلقه عليها الخوريون . وزيادة في ذلك أكد أن اسم " طوزخورماتو " مشتق من كلمتي خور : أي الخوريين وماتو التي تعني المدينة في اللغة الأكدية , ليكون معناها : مدينة الخوريين . واورد عدداً من أسماء الاقوام التي سكنت في هذه البقعة , لتكتسب فيما بعد اسمها المعروف بـ (ارابخا) **(Arapkha)** . وفي سياق كتابه هذا , تلمسنا انه يروم التأكيد على أحقية الكرد في التمسك بمدينتهم الى جانب القوميات الأخرى لاسيما العرب , اذ اكد إن الظرف الذي جمع بين الطرفين , هو ظرف روحي لا يمكن الفكاك عنه أو التنصل عن الالتزام به , وهو دخول الكرد إلى حظيرة الاسلام الذي مثل ـ كما يذكر ـ الحل الأمثل لخروجهم من أمر لا يفيدهم بشيء,لينضموا إلى دائرة العدالة الاجتماعية التي كانوا يفتقرون لها . ويتابع بعد ذلك ما مر به الشعب الكردي من مراحل حضارية وصراعات وحروب مروراً بدخولهم الإسلام ليقرر بإن احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية وبلغتهم في ظل الإسلام و حضارته على الرغم من تحولهم الى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما , فهو بالتالي درس بليغ كان يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار[112] . وواضح أن هذا الخطاب بما يحويه من مضمون, يعد رسالة يوجهها المؤلف إلى انظمة الحكم المعنية بأمور شعوبها , بضرورة ان يعووا التاريخ بتمعن , وان يلتزموا بروح الاسلام الذي لا يجيز لأحد ان يتجاوز على حقوق جماعة دون أخرى في البلد الواحد , فهو يقول " إن احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية ولغتهم في ظل الاسلام وحضارته , على الرغم من تحولهم إلى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما ,فهو بالتالي من عبر التاريخ , كان يجب إن يؤخذ بنظر الاعتبار . مؤكداً على ان المظاهر الاجتماعية والعقيدية لمدينة كركوك وعلى مر العصور , تدلل على انتمائها لهذا البلد , وتفاعل فئات اهلها مع بعضهم البعض[113] .

وضمن المنهجية العلمية الصارمة التي اتبعها المؤلف لتأكيد حقيقة أن الأكراد شعب أصيل في منطقته وليس طارئا عليها, فقد أورد عدداً من الأدلة التاريخية والأثرية كما اعتمد أوثق المصادر في اللغات العربية والإنجليزية والروسية فضلا عن الوثائق الرسمية . فمثلا ينقل عن (الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936) الذي صدر في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية النص الآتي :" الماديون هم من الشعب الآري ... وكانت النتيجة أن انفرد الكلدان بالسيادة في الجنوب و الماديون في الشمال فأصبح في العراق شعبان يسودانه الكلدان و هم من الشعب السامي والماديون في الشمال "[114] . ولعل هذا النص المأخوذ من وثيقة رسمية عراقية صدرت في عهد وزارة محسوبة على الاتجاه القومي في العراق الحديث , يمثل نبؤة تاريخية بما

---

[111] **كمال , كركوك وتوابعها , ص6**

[112] **المصدر نفسه , ص 16.**

[113] **كمال , كركوك وتوابعها ,** ص17

[114] **الجمهورية العراقية , الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936 , بغداد ,1935 , ص 13**

سيؤول إليه الحال في البلاد بعد سبعين عاما من صدور الدليل العراقي مع ملاحظة أهمية إشراك بقية المكونات الأخرى للشعب العراقي مثل التركمان والكلدو آشوريون في نظام الحكم المأمول . وحين ينتقل المؤلف للحديث عن كركوك و توابعها في كتب الرحالة , وجدناه يسهب في القول عن مكونات هذه المدينة ويوضح الجذور التاريخية لتواجدها ، فينقل عن الرحالة الهولندي ماليبارد النص الآتي :" ويعيش هنا على الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب العرب والأكراد بسلام ووئام متجاورين " ثم يعقب المؤلف على هذه الملاحظة المهمة قائلا " إن مثل هذه العلاقات الطيبة بين العرب و الكرد التي أشار اليها الهولندي ماليبارد ومراقبون آخرون كانت هي التي تسود الشعبين منذ أن دخل العرب كركوك و توابعها " [115]. ويعرج مؤرخنا على بدايات النهج التغييري لديموغرافية المدينة حين وردت في تقرير رسمي في العام 1929 الذي تحدث عن العرب من جبور وعبيد، وهذا يتضح من خلال قوله المنقول بتوثيق دقيق عن دار الكتب والوثائق الوطنية: إن هؤلاء العرب بعيدون بدرجة أنهم لا يمكن أن يعبأ بهم من الوجهة السياسية في التأثير على رأي اللواء . وفي لواء كركوك ، كما في لواء أربيل ، لا يوجد عنصر راق من العرب ينتمي الى المدينة لكي يمكن الاستناد إليه في تعريب اللواء" [116]. ولنا أن نستنتج أن أولى محاولات التعريب أو التغيير العرقي القصدية قد ظهرت مع ظهور الدولة العراقية الحديثة ومع اكتشاف النفط في كركوك . أما ما سبق ذلك من إنتقال عشيري فهو لا ينطوي على أية نوايا تغيير عرقية . وازاء هذا التوجه الخطير يقول كمال " وفي الواقع لم تجر محاولات لتعريب كركوك وتوابعها طوال العهد الملكي إلا في حدود ضيقة لم يكن من شأنها أن تؤثر على واقعها القومي"[117] .

ولغرض ترصين ما يذهب اليه , وبعد هذه الأيمائة لعراقة هذه المدينة , يعرج إلى البحث في التسمية, التي رأى إن البلدانيين , لم يشيروا إلى اسمها الحالي , انما ذكروها باسم " كرخيني , وهو استمرار لتسميتها في النصوص القديمة [118] . وحول موقع كركوك ضمن إقليم كوردستان، يذكر مؤرخنا كمال: "سجل أهم مصدرين عثمانيين كلاسيكيين , هذه الحقائق بصورة واضحة لا لبس فيها، ـ يقصد موقع كركوك ضمن كوردستان ـ المصدر الأول هو كتاب "سياحتنامة" للرحال التركي أوليا جلبي[119]120، الذي زار المنطقة بنفسه، ودرسها عن كثب في القرن السابع عشر، أي بعد مرور قرن على دخولها في حوزة العثمانيين[121].

---

[115] **كمال , كركوك , ص69**

[116] **المصدر نفسه , ص78**

[117] **كمال , كركوك وتوابعها , ص79**

[118] **كمال , المصدر السابق , ص6**

[119] **محمد بن ظلي درويش المعروف بأوليا جلبي (ت بين 1679 و1683) قام برحلات طويلة إلى ممتلكات الدولة العثمانية وغيرها , وسجل ملاحظات دقيقة عنها , نشرت بعشرة اجزاء في استانبول في غضون الفترة الممتدة بين عامي 1896و1938 .**

120 محمد بن ظلي درويش المعروف بأوليا جلبي , وهو من مواليد آذار 1611 , وتختلف المصادر في تحديد سنة وفاته بين 1679 و1683 . قام برحلات طويلة إلى ممتلكات الدولة

وفي سياق كتابه هذا , تلمسنا انه يروم التأكيد على أحقية الكرد في التمسك بمدينتهم الى جانب القوميات الأخرى لاسيما العرب , اذ اكد إن الظرف الذي جمع بين الطرفين , هو ظرف روحي لا يمكن الفكاك عنه أو التنصل عن الالتزام به . ليتابع ما مر به الشعب الكردي من مراحل حضارية و صراعات و حروب حتى دخولهم الإسلام مقرراً في جملة ذات مغزى كبير :" إن احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية وبلغتهم في ظل الإسلام وحضارته على الرغم من تحولهم الى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما لهو درس بليغ كان يجب أن يؤخذ . ووجد إن الإشارة إلى اهم المناطق المحيطة بكركوك , يمثل ترصين لوجودها الحضاري وعمقها التاريخي , لاسيما تلك المناطق المرتبطة معها بعلاقات اجتماعية وديموغرافية واثنية , كما هو الحال مع داقوق وشهرزور . واشار إلى جانب ذلك , إلى جملة ما شهدته هذه المدينة من تحولات ومن تبعية إدارية , فتارة تكون تابعة إلى داقوق وأخرى إلى اربيل . ولكي يستكمل تأكيد اسبقية الوجود الكردي في كركوك , فأنه ارتأى بيان مراحل انضمام هذه المدينة بوصفها جزءاً من المنطقة الشمالية إلى حظيرة الدولة العباسية , اذ يقول " إن كردستان الجنوبية , بما فيها كركوك وتوابعها , أصبحت تؤلف ولايتين من ولايات العراق العشر , حين اشرف العصر العباسي الأخير على نهايته". وتواصلاً مع هذا التعريف بتأريخية هذه المدينة , تطرق إلى ما اصابها من متغيرات , من جراء السيطرة المغولية على العراق , مؤكداً " ان اسم كركوك بصيغته الحالية , قد ظهر ولأول مرة" تحديداً في هذا العهد[122].

وتحدث عن كركوك ابان العهد العثماني , مصوراً بأسلوب ايحائي , التبدلات السياسية التي شهدتها هذه المدينة في هذا العهد , والمتمثل ببروز الكورد , كقوة لها شأنها في المنطقة , ادت ادواراً خطيرة في تقرير المصير , الأمر اوحى للمؤلف بضرورة الافصاح عن جملة الاساليب التي اتبعها بنو عثمان للهيمنة واستقطاب الأشخاص المؤثرين من الكرد إلى جانبهم معوّلاً في توضيح تلك السياسة حين أوكلوا اتمام هذا الامر إلى ادريس البدليسي , مستنداً على ما أورده " أرشاك سافرستيان " في كتابه " الكرد وكردستان " . ليسهب بعد ذلك , في بيان وضع المنطقة الشمالية ومنها كركوك في هذا العهد , مؤكداً ان مدينة كركوك لم تشهد أي تغيير ملحوظ حينها , لاسيما حين كانت تحت إدارة شهرزور , ليتطرق بعد ذلك الى

العثمانية وغيرها , وسجل ملاحظات دقيقة عنها , نشرت بعشرة اجزاء في استانبول في غضون الفترة الممتدة بين عامي 1896و1938

[121] ورد في الصفحتين 74 - 75 من الجزء الرابع من كتاب "سياحتنامه" أن تسع ولايات في عهده كانت تؤلف كردستان، وهي أرضروم، ووان، وهكاري - حكاري - وديار‌بكر، وجزيرة - جزيرة إبن عمر"، والعمادية، والموصل وشهرزور (وكانت كركوك تدخل ضمنها)، وأردلان، وقال عنها: "إن المرء يحتاج إلى سبعة عشر يوماً لقطعها"

[122] **كمال , كركوك وتوابعها , ص24**

ما شهدته هذه المدينة من متغيرات واحداث في عهد مدحت باشا والي بغداد[123] . وقد أشار المؤلف إلى المصادر التي تضمنت هذا الموضوع , بما فيها كتاب سياحتنامه لأوليا جلبي .

وحين تحدث عن واقع كركوك الأقتصادي , وجد إن مستوى هذا الواقع بقي متأرجحاً , بسبب عدم ارتباط هذه المدينة بطرق مواصلات ببغداد , على انه أشار إلى فاعلية تجارة الملح والمنتجات الزراعية في هذه المدينة . ووجدناه يعول على ما ذكره الرحالة الأجانب بخصوص مدينة كركوك وتوابعها . ايماناً منه بضرورة تنويع المصادر , لاسيما المشاهدات التي من شأنها ان ترفد البحث بمعلومات قيمة فاستشهد بما دونه الدكتور ليونارد راولف والرحالة الفرنسي تافرينييه وج .س بكينغهام وفريزر وغيرهم[124] والى جانب ذلك , وجدناه يبحث في العنصر الآخر المكون للمدينة , وهم العرب , فتطرق إلى ذكر اهم من سكن المدينة من العشائر , بما فيهم عشائر العبيد وشمر والجبور والنعيم والبيات , مؤشراً ما حصل من خلاف بين المعنيين بتاريخ العشائر , بشأن أصول وتأريخ عشيرة البيات, ونسبتها إلى العرب , فأشار إلى ما أورده " ادموندز " في كتابه " Kurds" ص79 , وكذا الحال بالنسبة إلى عباس العزاوي في كتابه " عشائر العراق " ص66[125] .

ورغبة في تأكيد انتماء هذه المدينة إلى الكرد , أشار إلى ما تضمنته احصائيات سنة 1947 و1957 من اشارات إلى الأصول التاريخية لمكوناتها السكانية , وما افرزته من نتائج تؤكد ارجحية العنصر الكردي على غيرهم من العناصر المكونة لهذه المدينة . مشيراً الى ان أبرز المسائل الخلافية التي ما زالت تثير جدلا واسعا حول هوية كركوك القومية, هي مسألة أعداد السكان على توزيعهم الأثني الى كرد وتركمان وعرب , إذ يرى في حال تجاوز ذلك التغيير الديموغرافي المتعمد بعد العام 1968 , فأن الوثيقة الأهم التي يعتد بها في حسم هذه المسألة هي نتائج التعداد السكاني العام الذي أجري في العام 1957,والذي يؤكد أغلبية الكورد في المدينة[126] .

وتناول فضلاً عن ذلك وضع التركمان في المدينة وتوابعها , بوصفهم عنصر اساسي وفاعل من مكونات المدينة . وقد أكد مؤرخنا على التواجد التدريجي للتركمان ابان العهدين السلجوقي والعثماني , والذي اثر في حياة هذه المدينة , لاسيما في عهد الأتحاديين وما اذكوه من روح القومية لدى التركمان في العراق وهذا الأمر لربما يبين الظروف التي أسست لشيوع الثقافة التركية في كركوك , مؤكداً على ما عمدوا إليه من تأسيسهم للمدارس السلطانية , فضلاً عن شيوع الصحافة باللغة التركية مما أضاف عاملاً آخر أسهم بشكل فاعل في جعل اللغة المتداولة , هي اللغة التركية .

وتطرق أيضا إلى وضع هذه المدينة ابان عهد الاحتلال البريطاني للعراق , بما في ذلك إجراءات السلطة البريطانية الأدارية والثقافية , وما اثيرت من مسائل ازاء

---

[123] يعد مدحت باشا من أشهر الشخصيات في تاريخ الدولة العثمانية إذ تنقل في مناصب كثيرة من والي بغداد إلى وزير للعدل إلى الصدر الأعظم إلى والي .

[124] كمال , كركوك وتوابعها , ص59

[125] المصدر نفسه , ص70 وما بعدها

[126] المصدر نفسه , ص80 وما بعدها

القضية الكردية في مؤتمر القاهرة , والموقف الذي ابداه اهالي وساسة هذه المدينة من ترشيح الملك فيصل , ليصل المؤلف في تناوله لهذا الموضوع , من ان البريطانيين , حاولوا ولأسباب تتعلق بمصالحهم في المنطقة , أبعاد كركوك وتوابعها عن الحركة القومية الكردية , لا سيما عن حركات الشيخ محمود التي كانت كركوك وتوابعها , تمثل أحد اهم اهدافها المركزية[127] .

وفي هذا السياق من تطرقه لمكونات وطبيعة مدينة كركوك , أشار مؤرخنا كمال إلى سيئات الاحتلال البريطاني , لاسيما في تعامله مع اهالي كركوك وما اصطبغت به من تعالٍ وتجاوزات على العراقيين, بخاصة حين تفاعلت مسألة الموصل , وقدوم اللجنة الخاصة بهذه المسألة[128] .

وقد تستوقفنا ملاحظة وقد لا نكون مصيبين فيها , حول العنوان والذي يقول دراسة وثائقية , في حين أن ما اعتمده من المصادر , لا يشير إلى ذلك , إذا ما علمنا أن الدراسة الوثائقية تستدعي أن تكون الوثائق المعتمدة , هي الغالبة على بقية المصادر الأخرى , في حين وجدنا أن الوثائق المعتمدة لم تتجاوز ثلاثة وثلاثين وثيقة بين العربية والأجنبية في حين أن عدد الكتب العربية المطبوعة , هو ضعف ذلك , كما اشرنا . فكيف يتسنى لنا أن نعد مثل هذا الكتاب , وثائقياً , مع أن ربع مصادره المعتمدة فقط وثائق والأربا ع الثلاثة الأخرى متوزعة بين كتب ومجلات وموسوعات ورحلات .

وفي هذا السياق من سعيه لملمة التاريخ الكوردي , أصدر مؤرخنا كتابه "انتفاضة عام 1925" , وفيه حديث مركز عن تاريخية الحركة القومية الكردية في تركيا , والى ذلك تلمسنا في مقدمة كتابه هذا , إنه لا يرغب ان يفصل بين تاريخ الكرد في بلد عن تاريخهم في بلد آخر , فمثل هذا الامر , من شأنه أن يجعل من تاريخهم مفككاً . والى ذلك ,استعرض الظروف التي ادت إلى تفعيل دور الحركة الوطنية الكردية في تركيا , من خلال ابرازه طبيعة الواقع الاجتماعي والأقتصادي لكردستان تركيا بعد الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) , وما عاناه هؤلاء من جور النظام , وما اسهمت به الحركة الكمالية للحيلولة دون وحدة الشعب الكردي .

ومن الملفت للنظر ان الكرد في تركيا , مع تيقنهم بعدم توافق توجهاتهم وما تحمله الحركة الكمالية, إلا انهم ساندوها فيما تذهب إليه من تحدٍ للسلطة وقتذاك . وهذه الفارقة التي تبدو للعيان واضحة وجلية , يفهمها مؤرخنا من باب آخر , حين يراه سلوكاً نابعاً من تقديرات صائبة للموقف السياسي الذي كان يسود المنطقة , بما في ذلك الدور الفاعل للبرجوازية التركية وظروف انفصال كردستان الجنوبية عن الدولة العثمانية . ولم يترك رأيه على الحركة الكمالية من باب توافق جزئي مع الحركة الكردية , بمثابة عنوان سلوك لها ,انما أشار إلى ما يجعل القاريء مدركاً , للانفصال التام بين ما كان الكماليون يحملون من مفهوم ينادي بالثورة البورجوازية , وبين الواقع الذي انتهوا إليه , حين راحوا يضطهدون أي مبشر بهذا الفكر , فضلاً عن اشارته إلى التداعيات في المستوى المعاشي للشعب , في مقابل تنامي طبقة

---

[127] المصدر نفسه , ص83وما بعدها

[128] كمال , كركوك وتوابعها , ص94وما بعدها

برجوازية وجدت لها ملاذاً آمناً في جسد السلطة الكمالية . وبهذه الاشارات , يبدو إن كمال , يبرر للشعب الكردي انتفاضته على النظام والتي تصدى لذكرها في كتابه هذا .

لقد عني مؤرخنا بتاريخ وتطورالعلاقات المركبة بين القوى الاجتماعية ، وما يؤثر ذلك على مجمل الحياة السياسية والثقافية لبلد ما ، إذ أشارالى دور الأقطاعيين ورؤساء العشائر في رفد الحركة الوطنية للكرد في تركيا , لاسيما حين راح يؤكد تأثر فلاحي الكرد بالشعور القومي المتنامي وقتذاك وبمجالس البدرخانيين والنقشبندين وغيرهم , إلى جانب تغلغل الفئات المثقفة في الريف[129].وتناول أيضا ما ادته الطبقة العمالية من دور في الحركة الوطنية , فضلاً عن اشارته إلى اهم الاسباب التي حالت دون قيادتهم لهذه الحركة . وبعد هذه المقدمات التي اراد كمال مظهر , ان يرشح لنا بجلاء علل هذه الانتفاضة , فأنه يعمد إلى بيان مفهومها واهم وقائعها , وتأثيراتها الداخية والخارجية , فضلاً عن توضيح ملابسات فشلها . ومن بعد ذلك , جعل من نفسه مدافعاً عن هذه الانتفاضة , من خلال الذود عن احقية مكانها ناصعة البياض في التاريخ , داحضاً ومفنداً ما ذهب إليه بعض المؤرخين والمثقفين , بعدم وطنية هذه الانتفاضة كما هو الحال فيما أورده مؤرخون غربيون , عرض لآرائهم من أمثال " فاسيليف وارمسترونك والمؤرخ الألماني داكوبرت وغيرهم , ومنتقداً هؤلاء على ما اوردوه من اراء بصدد هذه الانتفاضة , معولاً في كثير من ردوده , على ما يكنه من احترام لهذه الوثبة الوطنية , التي دفعته على ما يبدو ان يثق بما حمله ربانها من مقاصد . واستند في جانب ليس بقليل في ما يذهب إليه, من ادراكه إن الشعوب المضطهدة , تمتلك شرعية الانتفاضة ضد مستعبديها , وان هذه الحكومات , ليس امامها سوى تشويه الصورة البيضاء للثورات ضدها , وقد كان نصيب هذه الانتفاضة على ما يبدو كثيراً مما جعلها تأفل سريعاً .

من أفكاره :

في مقابلة أجراها معه محرر في جريدة العراق (البغدادية) ذكر الدكتور كمال مظهر احمد : ان التاريخ الكوردي لم يدرس بعمق وبعلمية على صعيد الوطن العربي إلا ما ندر ، بينما نحن بحاجة إلى دراسته بصورة عميقة ، والمصلحة تقتضي ذلك وإننا بحاجة إلى إعادة بناء الجسور ومع ذلك فانا متفائل وأتوقع أن كل هذه الأمور ستتحول إلى الماضي والى دروس وعبر .... ويشير إلى بيان 11 آذار 1970 المتعلق بحل القضية الكوردية في العراق فيقول :بأنه نقطة تحول مهمة[130]. ويرى في حركة التحرر في العراق بالنسبة لجميع القوميات والأقليات , أنها بلغت شوطاً بعيداً قبل الاحتلال و أسست لجوانب مهمة في هذا المجال , لا سيما في سنوات الاحتلال، فأن المحتلين تصرفوا تصرفات غير لائقة , فكان ذلك مسوغاً

---

[129] **كمال , انتفاضة الكرد عام 1925 في تركيا , طبع دار كاوا للنشر , دت, ص44**

[130] **نشرت في العدد الصادر يوم 21 تموز 2001**

مناسباً لتفجير ثورة في الفرات الأوسط , فكانت ثورة تحررية وعقلانية [131] . وواضح انه أعطى تلك الثورة هذه المواصفات , استناداً لما توصل إليه من سلوكية صحيحة لقادة هذه الثورة في تعاملهم مع الأسرى , إذ يقول : فكان من توصيات قادة الثورة للثوار الرفق و الرحمة بالأسرى وان يتعاملوا معهم معاملة إنسانية، فكان لهذا السلوك , انعكاس واضح على مجلس العموم البريطاني والصحافة البريطانية . وكم رفع من قدر الثوار العراقيين . وأمام ذلك يؤكد على أن الثورة كانت مشروعة وفرضت على البريطانيين التراجع عن كثير من مفاهيمها إزاء العراقيين فهي قد أسست اللبنة الأولى للاستقلال ومن غير الممكن , وأمام هذه الحركة الثورية , أن يبقى الشعب الكوردي بعيداً عن هذه الثورة[132] .

ومن أجل بيان نضال الكورد وإسهامهم في هذا الحدث الجلل , عمد مؤرخنا إلى تأليف كتابٍ بعنوان (دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين العراقية) وفيه أراد القول , بلن الحركات الكوردية لم يكن لها دور كبير مثل جماهير بغداد أو جماهير الفرات الأوسط , ووجد السبب يكمن في أن البريطانيين وجهوا ضربة قاصمة إلى الحركة التحررية عشية ثورة العشرين حين تمكنوا في سنة 1919 من القضاء على حركة الشيخ محمود ونفيه إلى الهند فكان . ومع ذلك , فهو يقرر اشتراك فعلي لاسيما في اربيل وفي بعض مناطق كركوك في هذه الثورة[133] .

أما عن الحركة القومية التحررية في كردستان العراق , فيرى أنها اتخذت منحاً ثورياً , ربما أعمق إلى حد ما , من الحركات الثورية في الأجزاء الأخرى من كردستان , مؤكداً أن احد الأسباب الأساسية لهذا الشيء هو أن المواطن في كردستان العراق , حين يناضل ضد محتل أجنبي , يختلف عن حالة النضال ضد السلطة الحاكمة , كأن تكون السلطة القاجارية أو السلطة البهلوية في إيران أو ضد الكماليين في تركيا[134] .

وإزاء عامل التأثر بالمنجزات الحضارية العالمية , فقد كانت له فلسفته الخاصة إزاء هذا الجانب وقد لا يستسيغها البعض , فهو يرى أن لا اعتراض على الأخذ من هذا الانجاز حتى لو كان من المحتل , فقد اطلع على وثائق سرية كثيرة، تفيد أن البريطانيين جلبوا معهم جانباً من أسباب الحضارة إلى العراق , مؤكداً أن مثل هذا الشيء لا ينكره حتى كارل ماركس الذي يقول : أن الرأسمالية الغربية من شأنها أن تجر وراءها حتى أكثر الشعوب بربرية وتخلفاً ، فالوجود البريطاني رغم سلبياته الكبيرة , على فرض أن المحتل الأجنبي في كل الأحوال أمر مرفوض، فهنالك بعض الجوانب الايجابية فيه , لأنها ترتبط بقضية حضار يةٍ ,فعلى سبيل المثال , المحتل البريطاني وحين احتلال الفاو منذ تشرين الثاني 1914 , بدأ في نفس الوقت بتشييد السكك الحديدية وحتى مع انتهاء الحرب , فأنهم تواصلوا في ذلك

---

[131] في حين سنجد في الصفحات التي تناولت الحديث عن كتابه " الكرد في ثورة العشرين " من هذا البحث أن الدكتور, لا يتفق على تسمية ما حدث في سنة 1920 بالثورة , لأنه لا يرى فيها الثوابت العلمية لهذا المسمى .

[132] البغدادية (جريدة) , المصدر السابق

[133] أنظر كتابه : دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين العراقية , مصدر سابق

[134] كمال , مقابلة معه , نيسان 2002, كلية الاداب / جامعة بغداد

حين وصلت إلى بغداد ومن ثم من بغداد وصلت إلى كردستان أيضا وإلى كركوك وخانقين . مؤكداً أن هذه السكك الحديدية , على الرغم من أنها كانت تخدم الأهداف العسكرية البريطانية , فهي في نفس الوقت كانت وسيلة حضارية ساعدت على تفتح أذهان الناس عندما يرون هذه الأشياء ، بل وأكثر من ذلك , يرى أن الطائرات الحربية تقصف وهي تحمل توجهات لا إنسانية , لكن في نفس الوقت , فإن هذه الطائرات جلبت الانتباه إلى حضارة الغرب وه و أمر مهم في تهيئة الشعوب وتحفيزها على الانفتاح[135] .

وعن حقيقة ما اتهم به قادة الكرد من العمالة للأجنبي ؟ أستغرب الدكتور كمال متسائلاً عن فحوى هذه الادعا ءات ؟ مؤكداً أن الشعب الكوردي يعيش مع هذا الشعب العربي , تحت سقف واحد , وان التاريخ يشهد أن لكلا الشعبين حضور مميز في تاريخ بناء هذا البلد . منوهاً بما اسماه بالوصفة الجاهزة التي اعتاد عليها من يروم تشويه تاريخ الشعوب المناضلة , إذ يرى أن من أسهل الأشياء على البعض اتهام من لا يتفق معه في الرأي بالعمالة , ولكن التأريخ لا يتحمل مثل هذه الأحكام وان الوثائق السرية واضحة وقادة الكرد كانوا يناضلون وفي أصعب الظروف , لأن ما عاناه الشعب الكوردي لم يعانيه أي شعب آخر . وحين استفسر منه عن الذين يهيئون المكائد والاتهامات للقادة الكرد ؟ أكد أنهم القوميون المتطرفون , فالبسطاء من الشعب العربي لا يفعلون مشيراً إلى ما حدث في 1915 أثناء معركة الشعيبة في البصرة , حين رفع البسطاء من الناس شعارهم (ثلثي الجنة لهادينا) يقصدون هادي مكوطر[136] و (ثلثي الجنة لكاك احمد و اكراده) . ويرى أن القومي المتطرف المتعصب المنغلق الفكر , كان يسير على العكس من هذا التوجه . وتحدث عن وجود تيارات أو حركات وثورات أخرى غير ثورة الشيخ محمود[137] تزامنت مع ثورته؟ أشار إلى وجودها , مؤكدا أن هنالك حركات لم تكن في مستوى حركات الشيخ محمود , مقرراً إن منطقة السليمانية وارثة للأمارة البابانية، وان النخبة في السليمانية تكونت بسرعة , فإحدى المدارس الرشدية العسكرية الأولى التي فتحت في العراق , قد فتحت أيضا في مدينة السليمانية . وهذه الأشياء أدت إلى أن يكون الاستعداد الثوري في هذه المنطقة , أكثر من الاستعداد الثوري في المناطق الأخرى ولكن المناطق , هي الأخرى لم

---

[135] العراق (جريدة) عدد يوم 21 تموز 2001

[136] أحد زعماء الناصرية وقادة ثورة العشرين في العراق

[137] الشيخ محمود الحفيد (1883 – 1956) : مؤسس أول إمارة كردية عمّق الصلات بين عرب العراق وكرده
الحفيد من المشجرات الرئاسية في كردستان العراق، ولما يزل رمزية وطنية عراقية عامة.وتؤكد الأحداث انه
بأنه يمثل احدي صلات الوصل بين العرب والأكراد , وانه حافظ علي استمرار روح لثورة في الأجيال الكردية.فضلاً عن انه بمثابة بندقية غاضبة (كما نعتته الوثائق الانكليزية).جريدة (الزمان) --- العدد 1972 --- التاريخ 2004 - 11 -23

تقصر , فمثلاً في منطقة برزان وقبل أن تبدأ حركة الشيخ محمود , بدأت حركاتهم الثورية من قبل الشيخ عبد السلام الذي اعدم من قبل الاتحاديين[138].
وفي سياق حديثه عن نضال الكرد ضد الاحتلال البريطاني , أكد على دور الجماهير وموقفها من نفي الشيخ محمود إلى الهند موضحاً أن نفيه هذا أثار استياءً كبيراً , وباعتراف الوثائق البريطانية فأن الحركة القومية الكوردية في تلك المرحلة , أصبح محتواها الأصلي , التركيز على إعادة الشيخ محمود . وقد تحقق هذا الأمر فعلاً , وعاد الشيخ محمود من منفاه في الهند[139] .
ولأنه يعي أن الجزء لا يمكن أن ينفصل عن الأصل , وان ما يجري في ركن في هذا البلد , ينسحب على الركن الآخر , فقد تحدث عن دور العشائر العراقية بصورة عامة وأشار إلى أن تلك السنوات كانت قد شهدت بروز عدد من عشائر كردية قاومت الاحتلال ، كحال غيرها من عشائر العراق الأخرى, مؤكداً على الإسهام العشائري في سريان هذه الثورة , إذ أدت هذه العشائر دوراً كبيراً في تلك الحركات والانتفاضات التحررية , ونوه ببعض العوامل التي وجدها قد هيأت أمام العشائر الكوردية , سبل المواجهة المسلحة , ومنها أن الفلاحين من أبناء هذه العشائر يؤلفون الأكثرية ومن ثم , ليس بالضرورة أن يكون رئيس العشيرة مجرداً من المشاعر القومية أبدا , فان رؤساء العشائر أيضا يظهر بينهم من يحملون أفكارا قومية متطورة , فهذه العشائر وهذه الحركات , كانت تمثل الوجه المشرق للحركة الجماهيرية الكوردية في العراق , وأكد أن من قاد هذه الانتفاضات الكوردية بالدرجة الأساس في البداية , هو الشيخ محمود , وفي إيران سمكو شكاك , وفي كوردستان تركيا الشيخ سعيد بيران [140], فيما أشار إلى الدكتور الطبيب فؤاد في

---

[138] للمزيد عن هذا الموضوع يراجع رسالة الماجستير للباحث عبد الرحمن إدريس عن الشيخ محمود , كلية التربية ابن رشد , جامعة بغداد , 1988

[139] المصدر نفسه , ص54

[140] الشيخ سعيد بن الشيخ محمود بن الشيخ علي انه و لد في قضاء بالو بولاية "آلازغ" سنة1865م، و كان جده الشيخ علي قد استقر في (بالو) ونسب اليها. درس الفقه و الشريعة الإسلامية وتاريخ الكرد وكردستان، منح شهادات الإجازة والتدريس لطلاب العلم الذين كانوا يكملون الدراسة الدينية، وبعد وفاة والده انتقلت إليه الزعامة الدينية، وأصبح مرشدا للطريقة في بالو، وقد بلغ عدد مريديه وأتباعه أكثر من عشرة ألاف، كان من بينهم العديد من الترك،أما البقية فكانوا من الكرد. وكانت له صلات وثيقة مع العائلات الوطنية كعائلة بدرخان بك وعائلة الشيخ عبيد الله النهري، فضلاً عن الزعماء الكرد المعاصرين له . عندما تأسست الجمهورية التركية الحديثة عام 1923 . كان عدد النواب الكرد يتجاوز السبعين . ووعد الجنرال مصطفى كمال، وهو من سالونيك وليس من أصل تركي، القادة الكرد بمنح بلادهم حكماً ذاتياً واسعاً مقابل مساندتهم له في الانتصار على أعداء البلاد. ولكن سرعان ما ندم أتاتورك عن وعوده هذه . فاعتقل المناوئين له, وعندما تم اعتقال بعض قادة جمعية آزادي (خالد جبران و يوسف ضياء) في خريف عام1924، تم اختيار الشيخ سعيد رئيسا للجمعية التي عقدت مؤتمرا في تشرين الثاني 1924في حلب وقرر المشاركون القيام بانتفاضة شاملة لنيل الحقوق القومية الكوردية، على أن تندلع في يوم 21آذار1925 . اتجه الشيخ سعيد بقواته الى ديار بكر إذ كانت الحكومة التركية قد أعدت جيشا كبيرا للقضاء على هذه الثورة . وفرض الثوار الحصار على مدينة ديار بكر التي صمدت في وجههم حتى وصول القوات التركية المعززة بالأسلحة

مقابل الشيخ بيران الذي صعد معه على المشنقة جنباً الى جنب , فهذه الحركات يراها كمال ممثلة لعموم الشعب الكوردي بوصفها تعبر عن طموحاته[141].

وعن زمن الإمارات الكوردية، ولماذا لم تكن على وئام كامل مع بعضها ؟ وما هي أسباب تفرقها؟ ولماذا لم يفكر الكرد في تلك الأوقات بالتوحد ؟ وجد مؤرخنا أن الإمارات الكوردية كانت متناحرة في العصر الوسيط , وهذه حالة ثابتة في كل زمان ومكان . كل الإمارات الإقطاعية الأوروبية كانت متناثرة أكثر مما كانت الإمارات الإقطاعية الكوردية ، و هذه هي طبيعة النظام والفكر الإقطاعي وهكذا، فالصراع كان شيئاً طبيعياً[142] .

وحول تطور الفكر القومي لدى الكرد والمؤثرات في ذلك , أشار إلى إن كل إفرازات الاندماج بالأسواق الرأسمالية العالمية, كانت قد طالت الشعب الكوردي أيضا, فتكونت النخب المثقفة الكوردية , مؤكداً على أسبقية نمو الحركة القومية لدى الكرد , عما لدى العرب , مقارناً ما حصل سنة 1880 حين رفع الشيخ عبيد الله النهري [143] لأول مرة في تأريخ المنطقة ربما بعد الأرمن فقط قبل الشعوب الأخرى التي ضمن الإمبراطورية العثمانية , شعار الاستقلال السياسي عن تلك الدولة , في حين أن شعار الاستقلال رفع من قبل العرب لأول مرة في عام 1916[144].

الثقيلة ولم يتمكن الثوار من السيطرة على المدينة رغم اقتحامهم لها،فأمر الشيخ سعيد قواته بالتراجع، وقد حاصرت القوات التركية الثوار ومنعتهم من دخول العراق وسوريا وإيران . وفي أواسط نيسان تم اعتقال الشيخ سعيد مع عدد من قادة الانتفاضة التي خمدت نارها شيئا فشيئا، وفي نهاية أيار تمت محاكمة الشيخ سعيد وقادة الانتفاضة الآخرين وبعد محاكمة صورية صدر بحقه حكم بالإعدام مع عدد من قادة الثورة ونفذ حكم الإعدام فيهم في 30 أيار 1925 في ساحة المسجد الكبير بمدينة ديار بكر, كمال مظهر , كردستان في سنوات الحرب , ص201

[141] العراق (جريدة) , المصدر السابق

[142] العراق (جريدة) , المصدر السابق

[143] الشيخ عبيد الله النهري هو ابن الشيخ طه الشمزيني الذي كان الشاه القاجاري محمد والد ناصر الدين شاه قد أقطعه خمس أماكن في منطقة مركور وأجرى عليه راتباً شهرياً قدره خمسماوة تومان، وذلك سنة 1836م وعلى هذا فقد كان الناس يعطون خراجهم وضرائبهم إلى الشيخ طه. وفي عهد الشاه ناصر الدين، ألغت الدولة إجراء الشاه محمد وطالبت الأهالي بدفع الضرائب لها وذلك سنة 1872م . لكن الناس في أورميه وخوي قالوا إننا لا ندفع الخراج إلا للشيخ الذي منحه الشاه محمد هذا الحق . ولم يبق أمام إيران إلا أن ترسل الجيش لاستحصال الضرائب بالقوة . أما الشيخ فقد لجأ إلى الباب العالي للمطالبة بحقوقه المشروعة. فأرسلت الدولة العثمانية والي أرضروم إلى طهران لكن الوالي عاد خالي الوفاض من سفارته تلك. ولقد كان الشيخ عبيد الله فيما مضى قد أسدى خدمات جليلة للدولة العثمانية في حربها مع روسيا سنة 1878/1877م، واستطاع إلحاق الهزيمة بالروس في بايزيد. فصارت له هيبة خاصة بذلك , ينظر : جان دوست , الحديقة الناصرية في تاريخ وجغرافيا كردستان ترجمة وإعداد , دار آراس في أربيل عام 2002

[144] العراق (جريدة) , المصدر السابق

وفي هذا السياق من حديثه عن تطور الفكر وظروفه , يرى أن بروز النخب مرتبط أساسا بالمتغيرات السياسية التي يشهدها البلد , ف مع سقوط بغداد سنة 1258م على يد هولاكو , بدأ التراجع بالنسبة للجميع، حتى أواسط القرن التاسع عشر، لتبرز النخب ومعها تبرز الأفكار التحررية الجديدة والاحتكاك بالحضارة الغربية . ومن الملفت للنظر ان نرى مؤرخنا , وفي حديثه عن تاريخية تطور الفكر , أنه يحيل جزء من حركة التاريخ إلى القدر , حين يقرر أن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا قد جلبت الخير لجميع شعوب المنطقة ما عدا الكرد , مبدياً أسفه على ذلك , ومنوهاً بقدرهم الذي حال دونه , بيد انه يستدرك حصول هذا الأمر ليحيل تبعته على السياسة الدولية ومواقفها إزاء الكرد[145] .

حول كتابة التاريخ وعلميته :

واضح ان الدكتور كمال متيقن بأن الذين لا يمكنهم تذكر الماضي واستيعابه , مقضي عليهم بتكراره بكل اخطائه ومآسيه . إن فهم المرء لتاريخه يبدأ من قراءة هذا التاريخ في المراحل الدراسية الأولى . ومن ذلك وجدناه يحذر من ان المناهج المدرسية شوهت الى درجة كبيرة ، وان المتبرعين للتشويه كانوا كثيرين للاسف الشديد . فقد كانت تؤلف لجان لتأليف بعض الكتب المدرسية . وهي لجان ضعيفة لاترقى الى مستوى دراسات عليا . وبحكم احتكاكه المباشر بهذه الكتب وبوصفه , قد بدأ في السبعينات , الاشتراك في ترجمة بعض الكتب المدرسية من اللغة العربية الى اللغة الكردية , فقد اشار الى خللٍ لغويٍ في بعض هذه الكتب . وحينها تم تكليفه من قبل وزير التربية لاعادة النظر في بعض الكتب المنهجية . ووجد إن من الأفضل اعادة الكتب التي كانت مقررة في العهد الملكي مع بعض التغيرات لمواكبة روح العصر وهذا افضل شئ . وفيما يخص التاريخ الكردي فهناك من يقول انه تاريخ شفاهي وليس مدون على اعتبار ان الامية كانت متفشية الى حد بداية القرن العشرين وليس هناك من يكتب التاريخ الكردي ، وتلك أمور يأنف من سماعها تدور على السن الناس . وللرد على تلك الأقاويل , اشار الى (سرحان البكيسي) الذي الف كتاب (شرق داما) وهو كتاب تاريخي مهم قبل اكثر من اربعة قرون .فهو يرى ان التاريخ الكردي لم يكن مدون وان الامية كانت متفشية والفلكلور كان يمثل مصدر اصيل في كل تاريخ وليس فقط تاريخ الشعب الكردي . ويؤكد ان يد التزوير قد امتدت الى صفحات غير قليلة من تاريخ الشعب الكردي فمهمات المؤرخ الكردي , مهمة غير سهلة مثل الدكتور شاكر خصفات وهو مؤرخ معروف ، وفي نفس الوقت هو قاص معروف لديه مؤلفات رائعة عن تاريخ الكرد والواقع الديمقراطي للشعب الكردي .

وفيما يخص حركة التاريخ وعلمية التاريخ وهل للتاريخ ان يعيد نفسه ؟ يذكر ان التاريخ علم وان ابو التاريخ (هيرودوت) وصف التاريخ بأنه علم ، وللرومان القدماء افضل وصف قبل التاريخ اذ وصفوا التاريخ بأنه تعليم الحكمة بالافعال والبشر بحاجة الى الحكمة اكثر من تعليم الحكمة ، فتعليم الحكمة بالامثال وصف

---

[145] **المصدر نفسه**

رائع . وابن خلدون قبل اكثر من 400 سنة وقبل (متشدلي) يصف التاريخ في مقدمته بكلمة علم . وفي هذا السياق , اشار لمقارنة ثورتي 14 تموز 1958 في العراق وثورة 23 يوليو 1952 في مصر , مؤكداً وجود حالتين متشابهتين من حيث الاسباب والنتائج كالاضطهاد والاقطاع والتخلف والارتباط بالاحلاف الاستعمارية . بعض النتائج قد تكون مختلفة مثلاً في العراق , فالشعب قتل العائلة المالكة ولم يكن مقرراً لدى الضباط قتل العائلة المالكة. وفي مصر رحبوا بالعائلة المالكة وودعوا الملك فاروق واصبح فؤاد ولي للعهد وبعد سنة اعلنت الجمهورية في مصر. في هذا السياق يمكن للتاريخ ان يعيد نفسه ، وحين التفكير في هذا الشئ وبنوع من التمعن , يرى التقارب مع العلوم الطبيعية في مسيرتها وفي تفاعلها , كما هو الحال في مزج ذرتين من الهيدروجين وذرة من الاوكسجين سينتج عنه قطرة من الماء . وهذا ثابت في اي زمان ومكان ، وهذا ثابت في بغداد او واشنطن او موسكو ولكن حتى هذه العملية لايمكن ان تعيد نفسها بشكل مطلق في كل مكان. وافترض ان البعض قام بهذه العملية في صحراء ، فقطرة الماء لن تكون نظيفة . فأذا كانت في العلوم الصرفة هناك بعض الاختلافات فكيف التاريخ الذي مادته التاريخ والإنسان هو خير ما أنتج الله .

التأريخ فعلاً يعيد نفسه و لكن بشروط ، أي لا يمكن ان يعيد نفسه بصورة الي ة بحتة, فعلى سبيل المثال نفرض عملية كيمياوية او عملية تتعلق بالطبيعة لا يمكن ان تعيد نفسها هكذا بصورة الية , ولكن بصورة عامة التأريخ يعيد نفسه ، بعض مظاهر الماضي يمكن تحسسها , كالخلافات العشائرية على سبيل المثال الفكر , مع ذلك فهو يؤكد دائماً بأنه ليس متشائماً بل متفائل . لأن عجلة التاريخ لا يمكن ان تقف , قد تتعثر الا انها تسير دوماً الى امام وبالنسبة له فثمة مبعث تفائل مفاده ان الحالة انعكست بالنسبة لثورة اكتوبر , انهيار النظام السوفيتي اعطى نتائج سلبية بالنسبة للجميع ماعدا الكورد , يعني جاء لصالحهم ،وحين انتهى القطبان ، فان القوى الغربية باتت لا تحسب ذلك الحساب لايران و تركيا كما كانت تحسب الحساب لهذين البلدين اثناء وجود الاتحاد السوفيتي وهذا عامل مساعد على تخفيف التوتر الدولي , فلصبح الكورد . امام هذا الوضع, رقماً على الساحة رقماً يحسب له حساب فمن هذا المنطلق فهو يشعر بالتفائل .

رؤيته لما ُكتب من تاريخ العراق المعاصر:

يعتقد الدكتور كمال مظهر أحمد , أن الديمقراطية في العراق لم تشهد تطوراً تدريجياً , بقدر ما كانت ورقة يلوح بها الساسة وقادة الأحزاب منذ أن شهد العراق الحكم الملكي . ويعتقد أن نوري السعيد وعبد الإله يتحملان الوزر الأكبر من هذا التوجه , إذ كان بإمكانهما تجنب الكوارث التي حصلت بسبب تهورهما واستهانتهما بالجماهير واضطهادهما للقوى الوطنية التي كانت تشكل معارضة ديمقراطية ولم تلجأ يوماً إلى العنف عدى المظاهرات التي كانت سلمية وكانت السلطات هي التي تواجهها بالعنف الدموي . وأورد مثالاً ساقه لبيان الدور المؤسس لهذا التوجه والذي اتخذه السعيد للدلالة على الأنانية لدى الساسة وتمحورهم حول أنفسهم , فقد عمد إلى حلّ البرلمان عام 1954 بعد يوم واحد فقط من افتتاحه بخطاب العرش ،

بسبب فوز أحد عشر نائباً من المعارضة من مجموع مائة وخمسة وثلاثين نائباً . متسائلاً عن تأثير أحد عشر نائباً معارضاً من مجموع 135 نائباً على قرارات السلطة الحاكمة؟ مستدلاً بذلك على استهتار العهد الملكي بالديمقراطية؟[146] .

وعن بداية موجة الانقلابات العسكرية في تاريخ العراق المعاصر , يرى أن عام 1936 هي سنة فاتحة الأحداث في العراق ، وتحديداً في تشرين الأول من تلك السنة , حين وقع انقلاب بكر صدقي وتألفت حكومة حكمت سليمان , فقد كانت هذه المرحلة فاتحة الأحداث والمتغيرات إلى أن قتل بكر صدقي وهو في طريقه إلى تركيا سنة 1937. وفي كل الأحوال تكونت حكومة حكمت سليمان [147] . وكان هذا الأمر خطوة للأمام , مؤكداً أن كثيراً من الطروحات التاريخية بشأن هذه الحكومة كان بحاجة إلى إعادة النظر , فقد اتهم بكر صدقي [148] بأنه يميل إلى البريطانيين, لكنه في الحقيقة كان يميل إلى النازية ومعجب بألمانيا النازية , في حين أشار اللواء الركن (إبراهيم الراوي)[149] في مذكراته حين تحدث بإسهاب عن مدى كره (بكر صدقي) للانكليز ، وكذا الحال في مذكرات فؤاد عارف مرافق الملك غازي . وفي يوم افتتاح مطار الشعيبة كان السفير البريطاني يتحدث مع شخص من المقربين ومع الملك غازي مؤكداً أن بكر صدقي كان يحلم بافتتاح هذا المشروع ولكنهم كرسوا مبالغ طائلة , تقرب من ألف باون للقضاء عليه . ومن ذلك يرى كمال أن العديد من صفحات تاريخ العراق بحاجة إلى غربلة وتمحيص , لاسيما وان أجيالا قد انتهت , وانتهى أولئك الذين يؤثرون في تدوين هذا التاريخ[150] .

---

[146] العراق (جريدة) , المصدر السابق ؛ كمال مظهر أحمد ,مقابلة معه عبر الانترنت من لندن , نيسان 2007

[147] لمزيد عن هذه الشخصية , انظر كتابنا : حكمت سليمان ودوره السياسي , بغداد , 2001

148 بكر صدقي (1886 - 1937) عسكري وسياسي عراقي من أبوين كرديين ، درس في ألأستانة ـ في المدرسة الحربية / الكلية العسكرية لاحقاً وتخرج فيها ضابطاً في الجيش العثماني ، وبعد نهاية الحرب واندحار (الدولة العثمانية) أنظم إلى الجيش العراقي الذي أسسه المحتلون في 6 / 1 / 1920 برتبة ملازم أول . في أواخر عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية أشتد الصراع بين الوزارة والمعارضة التي عملت جاهدة لإسقاط الوزارة التي سعت للتمسك بالحكم بكل الوسائل والسبل ، وفي تلك ألأيام شغل الفريق بكر صدقي منصب قائد الفرقة الثانية . وفي ليلة الخميس 26 أكتوبر 1936 وبعد نجاح انقلابه بمعية حكمت سليمان , تولى بكر صدقي منصب رئيس أركان الجيش بدلاً من الهاشمي الذي أحيل على التقاعد . وجرت ألانتخابات في 20 شباط 1937 وجاءت النتيجة كما خطط لها بكر صدقي سلفاً وأصبح يمتلك ظهيراً قانونياً لبقائه سيد الموقف من دون منازع . في 9 آب 1937 تمت تصفيته , لتنتهي تلك الحكومة الانقلابية . للمزيد عن هذا الانقلاب وصاحبه , ينظر صفاء عبد الوهاب المبارك , انقلاب سنة 1936في العراق , ممهداته وأحداثه ونتائجه)) , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة بغداد , 1973 ؛ وانظر كتابنا : وزارة حكمت سليمان الانقلابية سنة 1936 في الوثائق البريطانية , بغداد , 2000

[149] قائد الفرقة الرابعة ، إبان حكومة الكيلاني سنة 1941

[150] كمال مظهر أحمد ,مقابلة معه , المصدر السابق

وفي هذا السياق , يرى كمال ضرورة أن يبدأ التغيير في كتابة التاريخ من مراحل الدراسة الأولى , ففي تقديره أن الكتب المدرسية شوهت إلى درجة كبيرة ، وان المتبرعين للتشويه كانوا كثيرين مشيراً إلى الدور السلبي لتلك اللجان التي تم تشكيلها لتأليف بعض الكتب المدرسية , بحيث كان مستوى بعض أعضاء هذه اللجان لا يرقى إطلاقا لمثل هذه المهمة . والى ذلك , ومن خلال تعامله المباشر مع هذه الكتب , بوصفه قد بدأ في السبعينات الاشتراك في ترجمة بعض الكتب المدرسية من اللغة العربية الى اللغة الكوردية , فقد وجد خللاً لغوياً في بعضها . وإزاء ذلك , وجد أن أفضل وسيلة لتلافي تلك الأخطاء , هو إعادة الكتب التي كانت مقررة في العهد الملكي مع بعض التغيرات لمواكبة روح العصر وهذا أفضل شئ[151] .

أما عن كتابة التاريخ الكوردي , فقد وجدناه يتقاطع مع من يرى انه تاريخ شفاهي وليس مدون على فرض أن الأمية كانت متفشية إلى حد بداية القرن العشرين وليس هناك من يكتب التاريخ الكوردي والعكس يراه كمال, فهناك العديد ممن تصدى للكتابة عن هذا التاريخ من أمثال (سرحان البكيسي) [152]. فالتاريخ الكوردي لم يكن مدوناً , والأمية كانت متفشية والفلكلور كان يمثل مصدر أصيل في تاريخ الأمم وليس فقط تاريخ الشعب الكوردي . المهم أن يد التزوير قد امتدت إلى صفحات غير قليلة من تاريخ الشعب الكوردي , ومن ذلك وجد ان مهمات المؤرخ الكوردي أصبحت مهمة غير سهلة[153] .

ويبدو واضحاً أن مؤرخنا , كان يتحسس ما كانت تعانيه حركة الفكر السياسي للدولة العراقية في سنوات ما قبل انقلاب 1968 , إزاء المسألة الكوردية , إذ كان يتوقع ثمة تغيير , نتيجة التحوّل في التوجهات الفكرية لحزب البعث قياساً بما كان عليه الأمر في العام 1963، بدليل صدور عدد من المقالات , نُشرت في جريدة الثورة بعنوان: "كيف السبيل إلى حل المسألة الكوردية؟" والمقالة كانت مكتوبة أغلبها من قبل حميد عثمان [154] وبإشراف طارق عزيز . أما بخصوص الجبهة الوطنية , فيرى أنها كانت حالة إيجابية، لاسيما وأنها قد مثلت الإطار الذي كانت القوى الوطنية تتحرك فيه . ومنذ السنة 1957 مهّدت هذه الجبهة الطريق لانتصار ثورة 14 تموز , بعد أن اجتمعت كل القوى الوطنية العراقية , حول أهدافٍ محددة معينة وفي خندق واحد وكانت النتيجة ثورة 14 من تموز , وتعزيزاً لهذا التوجه , وجد في بيان 11 آذار 1970 المتعلق بحل القضية الكوردية في العراق بأنه نقطة تحول مهمة , مقرراً أن الحاجة تدعو إلى دراسة تاريخ الكرد بتعمق[155] .

---

[151] المصدر نفسه

[152] صاحب كتاب (شرق داما) وهو كتاب تاريخي مهم تم تأليفه قبل أكثر من 4 قرون .

[153] كمال مظهر , مقابلة معه , المصدر السابق

[154] عضو مجلس النواب الحالي عن قائمة التحالف الكردستاني العراقي

[155] مقابلة أجراها معه محرر في جريدة العراق (البغدادية) ونشرت في العدد الصادر يوم 21 تموز 2001

منهجه في كتابة التاريخ :

وخلاصة ما يمكن قوله إزاء منهجية الدكتور كمال مظهر أحمد في كتابة التاريخ , انه ومن خلال ما أنتجه من مؤلفات بمختلف موضوعاتها , فإنما أراد فيها تقديم صورة واضحة لحقبة من التفاعلات السياسية , مستفيداً إلى حد كبير من اطلاعه على المدرسة الغربية , حين تتلمذ فيها , وأخذ عن أساتذتها . وهو خلال ذلك , يكون قد المّ بشكل أو بآخر بأكثر من لغة حية غير العربية أو الكوردية , فتفتحت أمامه آفاق كتابية واسعة , وجعلته ينظر برؤية مؤرخ مجدد , في كثير من الموضوعات التي تصدى لها . وقد تكون هذه النتيجة , حصيلة مترتبة من إدراكه أن ما أراد سوقه من الموضوعات , لم تكن الغاية منها لمجرد التذكير بها , بقدر ما أراد التنويه من خلالها بقضية , يراها مصيرية , تمثلت بقضية شعبه الكوردي , تلك الرؤية التي اختمرت في ذهنه منذ أن فتحت عيناه دوي القنابل , وهي تتهافت على البيوت في شمال العراق . فكان أمراً ألزمه منهجاً جديداً يستجيب للغاية التي يبغي من سوقه لمادة مؤلفاته , بل وانتخب لمجمل مؤلفاته , عنوانات تحتمل التطرق في مضامينها إلى تاريخ وقضايا الكرد . فهو حين يتحدث عن دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين , نجده يعمل جاهداً على معالجة صفحات مهمة من صفحات ثورة العشرين , فيأتي على بيان دور الصحافة والمجتمع المدني والمؤسسات الشعبية , وفي أثناء ذلك , نجده يعرج على دور الكرد في تلك الثورة , ليضعه على رأس الموضوعات التي ساقها في كتابه الذي تناول فيها هذا الموضوع . وحين تصدى للكتابة في تاريخ إيران الحديث والمعاصر , وجدناه يستعرض وبشكل متتابع جل ما شهدته إيران من أحداث في تاريخها الحديث والمعاصر , فكان في ذلك , مجالاً أوجده لنفسه بغية الحديث عن الكرد في هذا البلد , والذي نعتقد أن إطلالته تلك , كانت تعد من أهم العوامل التي دفعته إلى تأليف كتابه " دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ". وعندما اصدر كتابه صفحات من تاريخ العراق المعاصر , انتقى جملة أحداث , وجدها تتفق وعنوان الكتاب , وكانت في نفس الوقت تتسع لاستشراف مسألة , لطالما وجد في نفسه ميل للخوض فيها , هي مسألة تتعلق بالكرد . وهذا الأمر وجدناه يسري على كل المؤلفات التي أنتجها على مدى سنينه الأربعين , والتي مثلت رحلته الكتابية .

ولا شك أن من يطلع على ما كتبه الدكتور كمال مظهر أحمد وما قدمه من نتاج علمي , سيما ما كان يتعلق بتاريخ الكرد, سيدرك انه بحق قد أسس لمدرسة اختصت بكتابة تاريخ هذا الشعب . فعلى الرغم مما قدمه ممن سبقه إلى هذا المضمار من أمثال الأستاذ محمد أمين زكي ورفيق حلمي وحسين حزني المكرياني , وكذا الحال بالنسبة للمستكردين السوفييت من أمثال ن.أ خالفين وم.س . لازاريف وجليلي جليل , فأن هؤلاء تحدثوا عن جانب واحد من تاريخ الكورد , أو ما يتعلق بمعانات هذا الشعب , بخاصة في سنوات الحرب العالمية الأولى . أما الجوانب الأخرى فلم تعر أدنى اهتمام , وهو على ما يبدو قد دفع بمؤرخنا إلى أن يجعل من آثاره , محوراً لتاريخ الكرد , بحيث لم يصدر له أي مصنف إلا ولتاريخ الكرد , نصيب فيه . والى ذلك , فقد ألجئه هذا التوجه إلى اعتماد مصادر وثائقية , استناداً لأهميتها في كتابة التاريخ , لكشف النقاب عن كثير من الملابسات مما اكتنف تاريخ الكرد, إذ يقول : " أن كردستان , بوصفها جزءاً مهماً من الشرق الأوسط , كان لها موقع بارز في الحرب العالمية الأولى . ولقد أثرت أحداث الحرب وعواقبها تأثيرا كبيراً على حياة الشعب الكردستاني ومستقبله ومع ذلك , فان تاريخ هذا الشعب لم يدرس دراسة متكاملة , الأمر الذي يدعو إلى استخدام مميز لوثائق مختلفة المضآن لتأكيد حقيقة ما يذهب إليه . ففي كتابه " كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى " أكد على ضرورة الرجوع إلى المراجع الانكليزية لأنها تلقي بالضوء على مسائل

مهمة غير معروفة للملأ , وأكد أن أرشيفات الاتحاد السوفيتي ـ حينها ـ عامرة بالوثائق والمعلومات المهمة عن أحداث كردستان في الحرب العلمية الأولى [156]. وحين شد العزم على إثبات انتماء مدينة كركوك إلى القومية الكوردية عبر كتابه " كركوك وتوابعها " اعتمد على وثائق صادرة عن رئاسة الوزارة العراقية لسنة 1941 والتقرير السري لمديرية الاستخبارات البريطانية وملفات دار الكتب والوثائق , وتقارير عن مديرية النفوس والأحوال المدنية والتقرير الخاص بتطور العراق والصادر عن الحكومة البريطانية , إلى جانب بعض التقارير الصادرة عن وزارة الخارجية البريطانية, وان مثلت عدداً لا يرقى أن يُكسب كتاباً ,عنوان دراسة وثائقية , كما هو الحال في عنوان كتابه " كركوك وتوابعها إلا أن الذي يهمنا هنا , انه اعتمد هذه المجموعة الوثائقية لبيان غرضه من تأليف كتابه . أما عن مصادره الأخرى والتي اعتمدها في كتاباته التاريخية , فبوصفه مؤرخاً متمرساً في مجال عمله , فكان انتقائياً في تعامله مع المصادر والمراجع , ولا يمكن بأي حال أن تراه وقد فضّل المراجع الثانوية على المصادر , بل وانه يبتهج حين يرى احد تلامذته , وقد اقتبس معلومة وردت في وثيقة أو في كتاب لمؤلف معتبر , وهذا ما يمكن ملاحظته من مدحه للطالب المرشح لنيل الماجستير أو الدكتوراه في أثناء مناقشة مؤرخنا له . وهو أمر قد طبقه أولا على نفسه , حين ألف كتبه الكثيرة ولأنه كان متقناً لأكثر من لغة حية غير العربية ـ كما أشرنا ـ فقد وظف هذا التميز لديه , وراح يعتمد على مصادر باللغة الروسية والانكليزية , بحيث فاقت ما اعتمده من المصادر العربية . ولعل كتابه " كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى " نموذجاً على ذلك , حين اعتمد على أربعين كتاباً باللغة العربية ومثلها باللغة الكوردية , في حين اعتمد أكثر من خمسة وستين كتاباً باللغة الروسية وأكثر من خمسين كتاب باللغة الانكليزية . والى جانب ما تعرضنا إليه من مضمون مادة كتاب "كركوك وتوابعها " لا بد من الإشارة إلى أن مؤرخنا قد اعتمد لإتمام كتابه هذا على مصادر متنوعة , بلغت ما لا يقل عن مائة وخمسين كتاباً كان من بينها أكثر من خمسة وسبعين كتاباً عربياً ومعرباً , وأكثر من خمسين كتاباً باللغة الانكليزية ، وحوالي عشرين كتاباً باللغة الروسية، وما لا يقل عن عشرة كتب باللغة الكوردية، وثلاثة كتب باللغة التركية ، ومثلها باللغة الفارسية ، مع عدد قليل بلغات أخرى , ساعده زملاؤه في ترجمة ما يهمه من موضوعات وردت فيه . وجميع هذه الكتب مستخدمة بدرجات متفاوتة ما لا يقل عن ثلاثة عشرة وأربعمائة مرة في تأليف الجزء الأول فقط من"كركوك وتوابعها" كما مبين في هوامشه المنهجية , فضلاً عن استفادته من المذكرات الشخصية لأشخاص , شهدوا بل وأسهموا في صنع أحداث ما بعد الحرب العالمية الأولى وبدرجات متفاوتة أيضاً ، كما هو الحال في مذكرات رفيق حلمي الذي كان قريباً من الشيخ محمود ومن منطقة كركوك تحديداً , إذ نشر منذ العام 1956 ستة أجزاءٍ من مذكراته باسم "يادداشت" أي مذكرات . كما ينبغي الإشارة إلى الجزء الأول من مذكرات رئيس الوزراء البريطاني المعروف دافيد لويد جورج المطبوع في لندن سنة 1937 بعنوان " الحقيقة عن معاهدات الصلح " التي ورد في الجزء الثاني منها اسم كردستان تحديداً وثروتها النفطية في سياق المراسلات السرية بينه وبين نظيره الفرنسي كليمنصو , إلى جانب أنواع أخرى استفاد منها الدكتور

---

[156] كمال مظهر , كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى , بغداد ص12

كمال في تقديم رواياته التاريخية في هذا الكتاب ووجدنا هذا الأمر ينسحب على مجمل كتبه التي أصدرها .
وفي سياق تعريفنا بمضآن مؤرخنا في كتابة التاريخ , لا بد من التنويه باهتمامه المميز بما كتبه المستشرقين , حين وجدناه فضلاً عما علمناه عن منهجيته في كتابة التاريخ , مهتم بكتاباتهم وبمناهجهم , فهو يرى ان موضوع الاستشراق من الموضوعات المهمة , لان هناك اختلاف في الرأي حول الاسس التي يرتكز إليها والاهداف التي يبغي تحقيقها . ففي بداية ظهور الاستشراق , كان الهدف المعروف من بروزه ,هو النيل من العالم والحضارة العربية . وحين فشلت الحروب الصليبية بدأوا يلجأون الى اساليب الفكر للنيل من اسس الحضارة العربية ، وهكذا نشأ الاستشراق في البداية , ولكن بالتدريج تحول الى علم قائم بذاته . ويعد الاستشراق في نظر كمال , من اروع العلوم , مستشهداً بما يقدمه من خدمات جليلة , مشيراً الى المقولة الرومانية (التاريخ هو تعليم الحكمة بالامثال) .ليبدأ بالامثال السيئة او المرفوضة (بمكسيم رودونسون)[157] و(لونغري)[158]. وأكثر من ذلك , يرى كمال وبالاستناد الى المصادر الاصلية العثمانية والتركية , يمكن الوقوف على من ينتمي الى الاستشراق وهم من النخب واصحاب العقول الكبيرة , فالرائد الاول للنهضة الاوربية الحديثة (دانتي) [159] تأثر بالكوميديا الالهية[160]، وتأثر بابي العلاء المعري [161] وقصة الاسراء والمعراج

---

[157] **ماركسي اوربي يهودي صاحب كتاب عن الاسلام وحياة الرسول الكريم محمد (ص)** , انظر كتابه : في الأمة والمسألة القومية بالاشتراك مع إميل توما, الطبعة الأولى ــ بيروت، دار الحقيقة ــ **1971**

[158] ضابط في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى, وصاحب ثلاثة كتب , ترجم حياته الرحوم **(جعفر خياط) . وهو مؤمن بنظرية الرجل الابيض ولديه حساسية تجاه الحركة الكردية**. ينظر كمال مظهر , مقابلة معه عبر **برنامج ذاكرة** , فضائية الشرقية ,**2004**

[159] دانتي أليغييري (1 يونيو 1265 - 14 سبتمبر 1321) (Dante Alighieri) شاعراً من فلورنسا، إيطاليا. أعظم أعماله "Divina Commedia" (الكوميديا الإلهية)

[160] تعد الكوميديا الإلهية البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجه أوروبا أثناء العصور الوسطى

[161] **أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي نسبة الى تنوخ احدى قبائل اليمن ولد بالمعرة من أعمال حلب سنة 363هـ- لابوين فاضلين فقد كان ابوه من افاضل العلماء وجده قاضيا للمعرة، فلما بلغ الرابعة من عمره ذهب الجدري ببصره، ولما بلغ سن التعليم اخذ ابوه يلقنه علوم اللغة واللسان وتتلمذ بعد ذلك على بعض علماء بلدته وفي سنة 392هـ- غادر المعرة الى بلاد الشام فزار مكتبة طرابلس واللاذقية ولما طوف ببلاد الشام عزم على الرحلة الى بغداد مقر العلم والعلماء ليدرس الحكمة والفلسفة، ولبث في بغداد زمنا بين اخذ وعطاء علمي ووجد في بغداد بيئة علمية صالحة فاخذت اراؤه تظهر وتذاع، وهناك اتصل ولاول مرة بجماعة «اخوان الصفا» وكانوا يلتقون كل يوم جمعة في دار احدهم فأثر اختلاطه بهم في ادبه وعقله، ولم تكد علاقاته تتوثق بالبغداديين حتى فوجئ بنعي امه وكان والده قد توفي قبلها، فأصيب بصدمة شديدة من هذا الحدث، ورجع الى المعرة سنة 400هـ- حيث اعتزل الناس إلا تلاميذه وقنع من الطعام بالنبات دون الحيوان ولم يتزوج وظل ذلك حاله حتى توفي سنة 449هـ-) . عايش ابو العلاء عصور التفكك والاضطراب في جسد الدولة الاسلامية الموحدة فلقد تفككت عرى الدولة العباسية وانقسم العالم الاسلامي الى دويلات صغيرة وان ظلت مرتبطة بالخلافة العباسية اسميا**

والفتوحات المكية لابن العربي , ويرى إن مثل هذه الأمور عن تاريخنا الحضاري , ما كانت تعرف لولا المستشرق (اسين بلاسيوس) [162] . ومن ذلك نفهم ان الدكتور كمال في الوقت الذي يحذر من الانتباه الى ما يكمن خلف سطور كتب المستشرقين من نوايا ومآرب , فهو يؤكد على اهميتها , بوصف من كتبها يعدون من المفكرين , ولا بد من الاسترشاد بطروحاتهم ومناقشتها , بل والاستفادة من مناهجهم في التعامل مع الطروحات والأحداث التاريخية , لاسيما وان جل تلك الكتابات , تحليلية مستندة الى ادراك لحركة التاريخ .

والى ذلك , نجده مهتماً بتوثيق جوانب مهمة من التاريخ الكردي الحديث ، وابراز دور الصحافة الكردية فيه, كما في كتابته عن جريدة (تكيشتن اراستي) أي فهم الحقيقة (بالكردية) وهي صحيفة أصدرها الإنكليز بعد احتلالهم بغداد في 11 آذار 1917 . وفي هذا السياق , يشير الى اهمية المذكرات , وهو ما دفعه الى المساعدة في إصدار مذكرات كل من احمد مختار بابان وفؤاد عارف , ومع ذلك فهو , يحذر طلابه وقرائه من الوقوع تحت تأثير أصحاب المذكرات , فالمذكرات مصادر أصيلة ومهمة ولكن على الطالب والباحث ان يكون سيد مادته وليس عبدا لها[163] .

ولعل من المواضع المفيدة جداً في منهجية الدكتور كمال مظهر أحمد , هو إدراجه لفهارس بالأعلام والأماكن التي ورد ذكرهم في متن الكتاب . وبالتأكيد أن لهذا العمل , أثره الطيب في تسهيل قراءة التاريخ , من خلال تيسير تتبع المعلومات والأعلام, وعدم التفريط بالوقت . وزيادة على ذلك , فقد وجدناه وفي سياق ما أورده من موضوعات في كتبه , انه يعتمد الملاحظة أداة لجمع البيانات , إذا ما علمنا أن الملاحظة وكما يشير إليها قاسم محمود في كتابه "مناهج البحث" : بأنها المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما , مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة

وروحيا على الأمل. وكانت امارة حلب التي تتبعها المعرة عرضة للصراع بين الحمدانيين والفاطميين تارة وبين قبائل البدو والروم تارة اخرى) . لقد كان ابو العلاء واضحاً وصريحاً وجريئاً في الكشف عن هذه المفاسد والافات، اذ حوت قصائده اشارات واضحة الالفاظ والمعاني الى عدد من العيوب الاجتماعية .للمزيد انظر: ابو العلاء المعري: ديوان اللزوميات: نشر: دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت: 1961م: ط1 ص 249 , وانظر: احمد حسن الزيات: تاريخ الادب العربي: مطبعة الرسالة: القاهرة: الطبعة الحادية عشرة: ص292 .

[162] طرح اسين بلاسيوس , وهو مستشرق اسباني , مسألة كوميديا دانتي والمؤثرات الإسلامية, طرحا علميا في مط لع القرن العشرين (1919م)، فأحدث هزة كبيرة في حقل الدراسات المقارنة، وتقدم بأطروحة متكاملة . وركز على القرائن النصية بين رائعة دانتي وجملة من الأعمال الإسلامية في صدارتها قصة الإسراء والمعراج بالإضافة الى مؤلفات أدبية وصوفية اعتقد بلاسيوس أنها أثرت على الشاعر الايطالي, لكنه أي بلاسيوس لم يتقدم بوثيقة تاريخية تثبت هذا التأثير على طريقة الفرنسيين في الدراسات المقارنة واكتفى بالقرائن النصية,وكان في طليعة من اعترض على أطروحة بلاسيوس المستشرقون الطليان بخاصة وأنصار الدراسات المتعلقة بدانتي بشكل عام لأنهم يستكبرون أن يكون شاعر أوروبا المسيحية مدينا بعبقريته إلى مصادر إسلامية . ولعل المستشرق غابرييلي كان يعبر عنهم حين قال: ان دانتي لا يعرف العربية وان العلاقة (النصية) بين ملحمة دانتي وقصص الاسراء والمعراج غير متوفرة , للمزيد عن هذا الموضوع يراجع : نذير العظمة , المعراج والرمز الصوفي , دار الباحث , بيروت 1982م .

[163] كمال , مقابلة معه , مكتبته الخاصة , آذار 2003

التي تتلاءم مع طبيعة الظاهرة[164] . فالباحث هنا يجمع الأدلة التي تعينه على بيان غاية البحث , عبر استخدامه لحواسه ومن خلال العلاقات التي تمكنه من بناء فرضية نهائية للمسألة مجال البحث . وهذا أمر تلمسناه في أكثر ما كتبه وطرحه مؤرخنا من موضوعاته , لا سيما في كتابه الذي كانت لحواسه ومقابلاته الفكرية , دور فاعل في بيان طبيعة ما يهدف إليه , وهو إثبات قومية مدينة كركوك الكوردية - كما اشرنا إلى ذلك مراراً - .

.

أما تراتبية المادة التاريخية لديه , فقد اتخذت السياق الزمني , أساساً في تقديمها , مع انه في بعض عنوانات كتبه التي صدّرها , لم يلتزم بهذا السياق , بل وجدناه يلتزم بالمكان قبل الزمان , بوصفه , الوحدة الموضوعية التي يمكن على أساسها سوق أفكاره ضمن مادته التاريخية , لا سيما وانه انتهج في هذا التقديم أسلوبا تحليلياً لسوق تلك الأفكار وبيان رؤاه التي يتبناها إزاء بعض الطروحات التي يتوقف عندها . فكتب عن إيران , وهو يعي ما يتيح له هذا الموضوع من التحدث عن تاريخ الشعب الكوردي , وكذا الحال في كتابه عن ثورة العشرين والطبقة العاملة في العراق وتركستان في سنوات الحرب العالمية الأولى وغير ذلك من الكتب , إلى جانب الكثير من بحوثه . ومع ذلك وعلى الرغم من إلزام نفسه بمنهجية صارمة في تقديم مادته التاريخية تلك , فانه لم يحيد عما وجد أقرانه من المؤرخين , مما اعتادوا عليه من آليات في طرح الموضوعات ,حين راح يهيأ لموضوعة الكتاب الذي يروم إصداره , بمدخل معرفي يمهد من خلاله , ذهنية القارئ للدخول بانسيابية إلى محور الموضوع, بل ووجدناه يعمد إلى إثراء الكتاب بهوامش تعريفية لما يصادفه من الأعلام والأماكن , مما يشكل التعريف بها فائدة تتعلق بمجال موضوعة البحث .

وأخيراً , نقول أن للدكتور كمال مظهر أسلوب كتابة , لا يُشعر القارئ معها بالملل , لبساطته ولتماسك رواياته التي لا يكتنفها الغموض . ولعل ما يجعله سلساً في مادته , هو ما يتمتع به من دراية ومن خبرة في التعاطي مع الرواية التاريخية بحيث لا يتيح المجال أمام المتطلع لقراءتها , أن يغفل مفردة منها , بل ويجعل منه منتظراً لما يليها من طرح , يعد بمثابة إجابة عليها وبياناً لمعانيها . ولعل ما أضفى من جمالية على لغة وأسلوب كمال , انه لم يغرق كتاباته بمصطلحات يجعل القارئ متحيراً حيالها, كما يفعل بعض الباحثين ظناً منهم أن هذه الوسيلة ستضفي على كتاباتهم نوع من الأهمية , في الوقت الذي ستؤدي فيه هذه المصطلحات إلى إثقال أو تعثر في فهم النص , لا سيما إذا ما كان بالإمكان الاستغناء عنها , أو التقليل من استخدامها , إلا إذا دعت الحاجة إليها

وأخيراً , لا نريد القول بأن ثمة تفاوت قد حصل في بعض ما تناوله من مفاهيم , وبين ما يؤمن به من تلك المفاهيم , فهو يرى أن ما وقع من أحداث في صيف سنة 1920 في العراق , لا ينطبق ومفهوم الثورة علمياً [165] . فالثورة لا بد لها أن تستهدف أحداث تغيير جذري في القاعدة والقمة للدولة . وما حصل , لا يعدو أن يتجاوز انتفاضة جماهيرية , أو أنها حركة تحررية موجهة ضد مستعبد أجنبي . ومع ذلك , فأنه ومع إقراره بعدم انطباق هذا المعنى على العنوان , فقد تجاوز طرحه هذا وراح يطلق كلمة الثورة على ذلك الحدث , لدرجة أن جاء عنواناً لكتابه " دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين " . ومع أن ثورة العشرين , كانت تفتقر إلى التنظيم , وإنها كانت عفوية , فأنها تركزت بشكل كبير في أطار زمكاني معين , وما حدث من امتداد لآثارها إلى بعض المناطق الأخرى لا علاقة له سوى اندفاع لا يرقى إلى مستوى الإسهام في الثورة , وهذا ما اعترف به المؤرخ الدكتوركمال مظهر أحمد , حين ذكر : لقد اتخذ اشتراك الكرد في ثورة العشرين اشتراكاً عفوياً في الغالب , وهو لم يجر بشكل واحد

---

[164] مطبعة الأنجلو المصرية , القاهرة , 1963, ص93

[165] انظر هامش ص26 من كتابه دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين العراقية

أو بنفس الزخم . وهذا أمر لا يمكن إنكاره , فما شهده لواء ديالى , سيما مناطق خانقينوكفري , ينطبق على هذا الوصف , والأهم من ذلك , أن الثورة وقعت في حزيران سنة 1920 , وان أحداث هذا اللواء والمواقف المتشنجة من سلطة الاحتلال في اربيل والسليمانية جاءت في شهري آب وأيلول من نفس السنة وأمام ذلك , وجدنا مؤرخنا وقد أعطى هذا الاشتراك حيزاً جلياً بحيث عده أحدى المآثر المهمة من الثورة , حين أكد على ضرورة أن تكون تلك الأحداث جزءاً لا يتجزأ من الإطار العام لثورة العشرين , فأصدر كتابه " ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي " والذي صدر في بغداد 1977 . و " دور الشعب الكوردي في ثورة العشرين العراقية " ـ كما اشرنا أعلاه ـ والذي صدر في بغداد سنة 1978 , ونشر أيضا عدد من المقالات في هذا السياق , كما في مقاله الذي نشرته جريدة التآخي في عددها الصادر في الأول من تموز سنة 1970 , وما نشرته مجلة المجمع العلمي العراقي الكوردي في العدد السادس من السنة 1978.

اسلوبه في الصياغة التاريخية :

ومن نافل القول , ان من يتتبع مؤلفات الدكتور كمال , يدرك بوضوح ابتعاده عن الأسلوب التقليدي في الكتابة ، متبعاً الأسلوب الحديث في معالجة موضوعات بحوثه , ومستنداً في اغلب مصادره , على اقربها من تلك الاحداث , وممن لم تطرق من قبل ولم يتحدد بالعربية منها , فهو يقول " استندت في بحوثي التي اقدمها هنا الى مصادر متنوعة انكليزية وروسية وعربية وكردية وغيرها مما يدخل قسم غير قليل منها ضمن المصادر الاصلية , كما ان جانباً كبيراً منها يستخدم لأول مرة في دراساتنا العلمية[166] ولا شك أن ذلك , اتاح له امكانية التوصل الى استنتاجات جديدة قابلة للنقاش العلمي بهدف الاقتراب من تقييم نهائي حولها. ففي دراسته عن الطبقة العاملة العراقية , اعتمد على عدد كبير من المصادر المتفرقة , كان في مقدمتها الوثائق الرسمية والتقارير السنوية التي اعدها الانكليز عن سير الأدارة في العراق ابان سنوات الانتداب . اذ وردت معلومات مهمة في هذه الوثائق تخص المشاريع التي استخدمت اعداداً كبيرة من العمال كالميناء والسكك , وعن الجمعيات العمالية والحرفية واحوال العمال بشكل عام وموضوع التشريع العمالي وما شاكل من قضايا لا غنى عنها حين البحث عن تاريخ الطبقة العاملة العراقية . وعن التعامل الأمين مع المعلومة , والذي يندرج في سياق المنهجية العلمية الرصينة , يؤكد ان للقضايا العلمية في منهجية الكتابة التاريخية نواميسها المقدسة التي تأتي في مقدمتها الدقة والأمانة حرصاً على الموضوعية التي يجب أن لا نفتقدها في أي حال , لئلا نكون مجحفين في احكامنا التي نؤدي من دونها الى ضرر كبير لقاء مغنم صغير[167].

ومن حصيلة تلك المراجعات للاصول التاريخية التي تهيأت له , ارتسم امامه بياناً واضحاً للاسلوب الذي سيقدم فيه مادته التاريخية للقراء , وكحال المؤرخين الذين ادركوا ماهية عملهم , فأنه حين يروم الكتابة عن موضوع , لن يضع في حسابه الشهرة او أي منتفع مادي , بقدر ما كان ينشد الأعلان عن حقيقية تاريخية , وجد انها تعني الكثير للمجتمع الانساني بوصفها تجربة , يمكن ان يعول عليها المتفهم للتاريخ في التعامل مع حاضره ومستقبله . والى ذلك , فلا بد من بلورة الفكرة التي سرعان

---

[166] **كمال , اضواء , ص6**

[167] **كمال , كردستان في زمن الحرب , ص11**

ما تتجسد في مخيلته , فينقله هذا الخيال الى تصور موضوعي لملامح الموضوع , وحينها تبدأ مرحلة البحث لديه والتقصي للمعلومة التي وجد ضرورة الاطلاع عليها , لغرض ترصين مادته العلمية , واكسابها صفة الصدق وامانة النقل لوقائع التاريخ .
وحينذاك يلزم نفسه بتهيئة كافة النصوص , فتكون قريبة عليه , ليبدأ معها رحلة عميقة , ليستقرأ اولاً طبيعتها ومغزاها ويحدد العلاقات بينها , ومن ثم يأت على تحليلها , حتى يجد نفسه قريباً من موضوعة بحثه , بل ويشعر ان الحدث المعني بالتدوين له في متناول يديه , فيقرأه بروية ويستعلم معانيه , ويأتي بعد ذلك الى طرحه فكرة اصيلة ورواية مستلة من مضانها , يشعر المتلقي لها بسهولة الاسلوب وبساطته , ووضوح معانيه , على الرغم من اعتماده في بعض الأحيان لمصطلحات وتعابير , نعتقد انه يتعمد الاشارة اليها , لا لشيء سوى انه يحاول ان يسحب قارئه من دائرة تقليدية من الحوار الثقافي المنغلق , ونقله الى اجواء أخرى لزيادة الاطلاع والتعلم , مع المحافظة على استقلالية الطرح وعدم الانجرار وراء التغريب الذي يضعه البعض من المثقفين , شرطاً من شروط الخروج من الدائرة الرتيبة التي وجد المثقف العربي نفسه قابعاً فيها. فهو لا ينظر الى ما يقوله الغربيون او المستشرقين , بريبة وتشكك مقصود , بقدر ما يجعل من تلك الطروحات مجالاً رحباً للتزود والأخذ عن الغير , وهو أمر ينطلق منه , استناداً من ثقته بنفسه , ومن قدرته على التفريق ما بين الغث وبين السمين .
وفي هذا السياق من تعامله مع ما يفد من الغرب من طروحات وافكار , يقول : لقد درس المستكردون السوفيت , لا سيما منهم الدكاترة " ن .أ.خالفين و م.س لازاريف " وغيرهم العديد من الجوانب المهمة من تاريخ الكرد في القرن الماضي ,ويرى ان من العوامل التي ساعدت هؤلاء على القيام بذلك , هو غنى الارشيفات السوفيتية بالمعلومات الاصيلة والوثائق المتعلقة بتلك المرحلة من تاريخ الشعب الكردي , فقد كانت روسيا القيصرية تولي كردستان اهمية خاصة "[168]. وهناك مصادر انكليزية تتحدث عن كردستان العراق , يمكن الاستفادة بصورة جيدة منها , كما في كتاب آرنولد ويلسون وأدموندس وماسون وغيرهم لتوضيح العديد من المسائل , ولم يجزم علانية بعدم صدق او التحذير من امكانية تمرير مثل هذه المصادر لبعض الطروحات التي لا تتفق وما يقوله الشارع ازاء القضايا المطروحة بقدر ما يوصي بضرورة التعامل العلمي والمنطقي مع تلك المصادر , بحيث لا نلغي اهميتها بحجة ما تكنه من نوايا غير معلنة في طرحها .
ولعل من المفيد أن نشير إلى أن مؤرخنا , وفي سياق حديثه عن تاريخية شعبه وهو ما تضمنته معظم مؤلفاته , فأنه أراد أن يلقي باللوم على كل نظام لم ينصف هذا الشعب , بيد أن البوح بهذا الأمر وقتذاك , يعني الإقصاء أو الفناء , وهذا ما يدعو بالمتصدي لمثل هذه المسألة الخطيرة أن يكون ذكياً ونابهاً في تمرير هذا المعنى للجمهور , من دون الفات النظر إلى أي إشكالية قد تثار ضده . وقد تلمسنا هذا الأمر لدى مؤرخنا , لا سيما في كتابه " صفحات من تاريخ العراق المعاصر " حين أفرد مبحثاً أعطاه عنوان " بكر صدقي والمسألة الكوردية "[169] ففيه أراد سوق ما بين سطور النصوص من معان حين ضمنها تنويه بقضية شعبه , إذ

---

[168] **كمال , كردستان في زمن الحرب , ص10**
[169] **كمال , مظهر , صفحات من تاريخ العراق المعاصر , ص117**

يقول : أن بكر صدقي أراد جمع شتات الأكراد في شرقي الأناضول وغربي إيران وشمالي العراق , وتوحيد كلمتهم تحت لواء زعامته[170] , وهي إشارة إلى حاجة الكرد إلى الاستقلال من سيطرة تلك البلدان الثلاثة , وإقامة وطن لهم . وهذا الأمر وجدناه متجسداً أيضا في كتابه " دراسات في تاريخ إيران , حين افرد مبحثاً بعنوان " حقائق عن النضال التحرري الكوردي في إيران "[171], أكد من خلاله على نبذ الكرد لسلطة أية دولة أخرى من غير قوميتهم , بقوله : لقد كافح الكرد منذ الأزل ضد أي سلطة أجنبية , وهو بالتأكيد أمر منطقي لأي شعب يريد بناء مستقبل أجياله , بيد انه أراد فضلاً عن ذلك , التأكيد على ما ذهبنا إليه بقوله : لقد أشار زينفون القائد اليوناني قبل 2400 سنة مضت في كتابه " أناباسيس " إلى ما كان يتمتع به الكرد من استقلالية وكيف أنهم ما كانوا ليخضعون للملك[172] .
وأمام كل ما كتبه مؤرخنا, نعتقد أنه اعتمد منهجاً أثرّت الرؤى السياسية لديه على الفكرة المتضمنة لكتاباته , بحيث تجاوزت ما يفهمه الآخر من خطاب تاريخي , بقدر ما هو خطاب سياسي ممنهج .

العوامل المحركة للتاريخ :-

اما عن حركة التاريخ ودور المجتمع فيه , فمن الواضح أن مؤرخنا ينظر إلى تلك الحركة بوصفها عملية معقدة لا تولد بصورة سريعة وهي عبارة عن تراكم كمي . ولكي يتحول الى تراكم نوعي فلا بد من وقت لتحقيق ذلك , دون ادنى شك . والى ذلك فهو يؤمن شخصياً ان المجتمع او الجماهير وحاجاته هي التي تطلق الحدث التاريخي والذين يضحون بأنفسهم في سبيل التغيير التاريخي هم ينتمون الى العوام وينتمون الى الجمهور في نفس الوقت . وعليه , فهو يقرر إن للفرد اهمية توازي ما للجماهير من اهمية في حركة التاريخ . اذ يقول " وقد اضطر العديد من الوطنيين الكرد, الى ترك مناطقهم تحت ضغط "الميجرسون" واللجوء الى مناطق اخرى , ومن بين هؤلاء الوطني المعروف محمود جودت , وكذا الحال للشيخ محمود [173] . ويقول " وكانت عشائر خانقين السباقة الى الانضمام لصفوف الثورة , وبشكل خاص عشيرة دلو المعروفة التي قاد كريم خسرو بك عن جدارة هجماتها على قوات الاحتلال . وقد كان كريم بك , واخرون من زعماء المنطقة , على اتصال بالشيخ محمود اثناء انتفاضته في العام 1741919 . ويرى ان (محمد علي) الكبير قائد عظيم ، فمصر في عهده كانت الجزء الوحيد من الامبراطورية العثمانية القادر على الحياة ، فالامبراطورية العثمانية وصلت الى الركود ما عدا مصر (محمد علي) , ففي زمنه وصلت صناعة السفن لدرجة تحمل (110) بحار ، و(113) مدفع . ويلقي بالضوء على أصل محمد علي باشا , حين ذكر عدم تشابه ظروف البلدين , بلده الأم وبلاد مصر الوافد إليها , كان بمثابة تحدٍ واجه هؤلاء الغرباء , الملزميين بمسؤولية القيادة في مصر . انه كان سيكرس ذكائه مثل والده وعمه ليصبح تاجر حبوب , ومن

---

[170] المصدر نفسه , ص120
[171] كمال , **دراسات , ص 225-265**
[172] المصدر نفسه , ص228
[173] كمال , دور الشعب الكردي في ثورة العشرين , بغداد , 1978 , ص37
174 المصدر نفسه , ص116

ثم عرف كيف يصل الى قمة الهرم , حين ادرك ما للجماهير من ادوار يمكن ان تؤديها . وهذا الامر يمكن تلمسه أيضاً عندما انتقل نابليون بونابرت الى قمة افرست وجرد من الجماهير ، انه لن يعمل دون الجماهير الفرنسية المتعطشة للتغيير وهو لا يعني انكار دور الفرد , فالفرد القائد صانع للحدث . وأكثر من ذلك , وجدناه يقارن بين ما شهدته مصر من تطوير على ايدي هؤلاء , وبين ما هي عاجزة عن الوصول اليه في وقتها الحالي - القرن الحادي والعشرين - [175].

وفضلاً عن ذلك , فأن للعامل الديني ملامحه الواضحة أيضا في حركة التاريخ . ومما لاشك فيه ان الدين حالة حساسة، فهو يؤثر في العقل الباطن ، من حيث هو كامن فيه . وفي تواريخ الشعوب المختلفة , نجد ان لهذا العامل اثره البالغ في حركة التاريخ , بل في بعض الاحيان يسير على وفقه . ويرى كمال ان الانسان الشرقي ينشأ , فينشأ معه الدين . وهو أمر يكون قد تحسسه , حين أكمل دراسته في الاتحاد السوفيتي , اذ وجد في جمهوريات القفقاس بل حتى بين الروس , ان عنصر الدين رغم كل محاولات الدولة العلمانية السوفيتية مازال قوياً ومؤثراً، و أحس بمثل هذه الحالة الغريبة في باكو حين شاهد اكثر من مرة , تشييعاً لمتوفى , ان كبار المسؤولين وكان الملا يتقدمهم ويقرأ سورة ياسين من القرآن الكريم , وهو امر يلفت النظر , ولم يكن متوقعاً ان يرى المرء مثل هذه الحالة في الاتحاد السوفيتي , فكيف بالنسبة للشعب الكوردي . وبالنسبة للكل، فعنصر الدين , عنصر قوي ، ولكن عندما يصطدم هذا العنصر بالمشاعر القومية او بالاحرى يستغل الدين للنيل من القيم القومية لأي شعب فأن رد الفعل سيكون مشروعاً , وباتجاه يتناقض مع من يتبنى مثل هذا الاسلوب من التعامل مع القوميات الصغيرة . فعلاً ان الكورد دخلوا الاسلام مخلصين له الى اقصى درجة وليس ذلك لأن الكورد يختلفون عن غيرهم ، ولكن يجب البحث عن الدوافع الحقيقية التي جعلت من الكورد , ان يكونوا مخلصين للأسلام . فلو عاد الشخص في التاريخ قليلاً الى الوراء لوجد ان الكورد في ظل الساسانيين , اصبحوا في وضع سيىء للغاية , وعندما جاء الاسلام , تغيرت احوالهم الى الأحسن فلا حكم جائر ولا تدخل في شؤونهم , ولذلك اخلصوا للدين الاسلامي الى درجة كبيرة , فأدوا ادوراً متميزة في بناء الحضارة العربية الاسلامية . ويؤكد ان العديد من الاعلام في الحضارة العربية الاسلامية هم في الاصل كورد , وهذا لم ينعكس سلباً على الواقع الكوردي, بل العكس , لأن الحالة كانت هكذا يومذاك بالنسبة للكورد وغير الكورد، عندما يدب الانحلال في جسم هذه الدولة , فأن الانحلال يسري لسائر جسدها . ولكن الاحتكاك بالحضارة الغربية , غير ذلك ، المشاعر القومية تفرض نفسها على الساحة , وبالفعل فرضت نفسها على الساحة ,ولكن مصالح الدول الغربية احياناً بل غالباً كانت تصطدم مع طموحات الشعب الكوردي , ومع ذلك فأن نضال هذا الشعب لم يتأثر بمثل تلك المظاهر , ومن ذلك , فأن مؤرخنا يعطي للعامل الديني دوراً مميزاً آخر في رسم الشعب الكردي لحركة تاريخه , بيد انه لم يترك هذا الأمر مستقلاً , إنما جعله مرتبط بعوامل أخرى , فلا يمكن للعامل الديني أن يؤدي دوره بمعزل عن تلك العوامل .

---

[175] كمال , مقابلة معه , كلية الآداب/ بغداد , نيسان2002

في باب النقود العلمية :-

ومن المزيات المهمة في عمل الباحث , وهي ما تلمسناها في منهج مؤرخنا , انه لا يتوانى عن نقد أي باحث أو مؤرخ , يجد قصوراً في عمله , في الوقت الذي يضع البديل لهذا القصور وهو أمر اعتاد عليه, بوصف ما يصدره من نقود علمية , لا تحتمل أن تفسر , سوى من باب التصويب والتقويم . بل لأنه لا يرضى أن يجد مؤلفات لا ترقى إلى نقل المعلومة الرصينة. وفي هذا السياق وعلى سبيل المثال, وجه نقده إلى المؤلفات التي تناولت تاريخ إيران بقوله : أن المراجع العربية المتوفرة عن تاريخ إيران مشحونة بأغرب الأخطاء فيما يخص أسماء الأعلام والمواقع . وقد امتدت آثار هذا النقص إلى الكتب المعربة أيضا . ففي كتاب "نفط ودماء " الذي ترجمه عبد الغني الخطيب , تحول اسم بشت كوه إلى بوشدى كوه والبارون رويتر الى دي ريدر وروسيا القيصرية إلى روسيا السارية وتحولت لاحقة الدين في اسم الشاه القاجاري مظفر الدين إلى التين والتيني , فتحول اسم الملك القاجاري الخامس إلى مظفر التيني بكل بساطة وتحول نهر كارون إلى نهر قروت. ويقول : ولم تسلم دراسات بعض الأساتذة والكتاب , وكذلك بعض الرسائل الجامعية , من أخطاء علمية كان من المفروض أن لا تقع فيها[176] .

وليس من شك من ان كمال مظهر , قاريء ممتاز , لاسيما في مجال تخصصه , ونعتقد ان هذا الامر شكل في داخله رغبة ملحة في التعامل العميق مع موضوعات المصادر التي يعول عليها في كتابة بحوثه او تلك التي يتصدى لقرائتها . وهو ما جعل منه محاوراً ومصححاً لبعضها او منتقداً لغيرها وقارضاً لسواها .فيقول في هذا السياق من نقوده وردوده العلمية , ربما يجد القارئ شيئاً من الغرابة في تعليق حنا بطاطو حول مسألة كركوك [177], فهو يعتقد بأن أي لبس أو أي نوع من الغرابة،

---

[176] دراسات , ص4

[177] نشرت جريدة السفير اللبنانية للكاتب تركي علي الربيع , بتاريخ 2004/01/15 , مقالاً تحت عنوان " كركوك مدينة كردية أم غنيمة حرب " أكد الكاتب على تركمانية كركوك في مقاطع من مقالته أدناه مستشهدا بالكاتبين حنا بطاطوا وعزيز قادر صمانجي :ففي كتابه عن العراق وفي الجزء الأول منه ((الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية)), يؤكد حنا بطاطو أن مدينة كركوك هي مدينة تركمانية بامتياز، وهذا ما تجمع عليه الكثير من الدراسات الاستشراقية التي طالت الوجود الإثني في كركوك في النصف الأول من القرن العشرين المنصرم، ومن وجهة نظر بطاطو المدعومة بالدراسة الميدانية، أن أربيل وهي المعتبرة عاصمة لكردستان العراق هي بدورها مدينة تركمانية تم تغيير خريطتها الديمغرافية لاحقاً لصالح الأكراد بالاضطهاد والقسر الذي طال التركمان والأشوريين وغيرهم، خاصة أن التركمان هم سكان المدينة ووجهاؤها. يقول بطاطو: كان التركمان ينتمون بالتأكيد إلى الشريحة الثرية بكركوك وكان ملاك الأراضي الكركوكيون، أكثرهم من التركمان أو الأكراد الذين يصنفون أنفسهم تركمانا) . وواضح ان المؤلف اراد القول أن كركوك كانت مدينة عراقية تركمانية بامتياز حتى أواسط القرن المنصرم، وأن من سكن بها من الأكراد، كانوا من الذين فروا من اضطهاد الآغوات الأكراد وملاكي الأراضي الذي لا يرحم . اما عزيز قادر الصمانجي ففي كتابه "التاريخ السياسي لتركمان العراق" ، دار الساقي، 1999، يذهب واعتماداً على المؤرخ العراقي مصطفى جواد، إلى أن كركوك هي قلب التركمان النابض ورمز وجودهم القومي، عرفت في التاريخ باسم (كرخيني) و(كرخينة). ولم تعرف في التاريخ الإسلامي إلا في القرن الخامس الهجري أو قبله، انتشر اسمها جلياً أثناء فترة حكم السلاجقة، وكانت مطمح الأتابكية الذين استولوا عليها في عهد الخليفة المستضيء العباسي في حدود 585 هجرية. ولم تعرف باسم (كركوك) إلا بعد القرن السابع الهجري، في عهد الدولة

سيتلاشى بمجرد التمعن في السطور اللاحقة حول ما خلفه رأي الاستاذ بطاطو السلبي على الكثير من الكتاب والمثقفين وغيرهم حول وضع مدينة كركوك ، فهو يذكر في الكتاب الثالث، صفحة 224 عن كركوك ما يلي: "وتقع كركوك، وهي مركز نفطي، على بعد 180 ميلاً - 280 كيلوا متراً" إلى الشمال من بغداد، وكانت مدينة كركوك تركية بكل ما في الكلمة من معنى حتى ماضٍ غير بعيد. وانتقل الأكراد إليها تدريجياً من القرى القريبة إلى هذه المدينة. وتكثفت هجرتهم إليها مع نمو صناعة النفط ، وبحلول العام 1959 كان الأكراد قد أصبحوا يشكّلون حوالي ثلث السكان، بينما انخفض عدد التركمان إلى ما يزيد عن النصف , وكان الآشوريون والعرب يمثلون بقية السكان". ويرى أن وجهة نظر الأستاذ حنا بطاطو تتوافق كثيراً مع ما يطلقه العسكريون والسياسيون الترك وغلاة التركمان من تصريحات حول عائدية كركوك، وغلبة العنصر التركماني في المدينة، وما يرافق ادعاءهم هذا من دعايات مضللة وغير صحيحة حول الوجود الكوردي في كركوك، وقبل المباشرة بطرح رأيه في هذا الموضوع، وجد من الضروري ذكر رأي الكاتب والمؤرخ العراقي، المعروف الأستاذ جرجيس فتح الله المحامي،حين ذكر في كتابه القيم "العراق في عهد قاسم، آراء وخواطر 1958 - 1988": "إن كتاب الأستاذ "بطاطو" الجليل وهو أوسع دراسة لمجتمع العراق وتاريخه حتى العام 1975 صدرت في أية لغة على الإطلاق، يعرض نماذج من تلك الأحداث والوقائع نافذاً بعمق إلى زوايا في التاريخ أهملت عن قصد أو لقيت تنويهاً عابراً من غيره . ومع هذا فإنه لم يسلم من قصور قد يؤخذ عليه عين المأخذ الذي لم ينبرئ منه من كتب في مجاله هذا. فهو مثلاً يكاد يخلو إلاّ من تنويهات طفيفة واستدراكات عابرة عن مراحل القضية الكردية ونضال الكرد الوطني الذي انتهى إلى حرب الثلاثة عشر عاماً . كما خلا تماماً من ذكرٍ لفترة الارهاب التي عقبت محاولة الشواف الإنقلابية في الموصل ودامت زهاء ثلاث سنوات . وبهذه المناسبة يذكر كمال إن مؤلفه كان أستاذاً في الجامعة الأمريكية، سعى إلى لقائه بتوصية الأستاذ هاشم جواد وزير الخارجية في أيام "قاسم" وقد كان يدير مكتب الأمم المتحدة للشرق الأوسط من بيروت في العام1970 وكان كمال مهيئاً لتلقي من المؤلف , أسئلة معينة دون أن يكون لديّه اية فكرة عن

التركمانية القره قوينلية) . ومع اكتشاف النفط وازدياد حيويتها الاقتصادية، هاجر الكثير من الأكراد إلى كركوك، فأنشأوا فيها أول حي كردي تحت اسم حي ((الشورجة)) وذلك في الجهة الشرقية من المدينة، ومع أن الشركات الأجنبية استقدمت واستخدمت عمالاً عرباً وأرمناً وأشوريين، إلا أن اليد العاملة الكردية، كانت هي الأكثر، بسبب الجور الذي يتعرض له هؤلاء على يد ((الآغوات)) وبسبب تحسن الحال المعيشية في المدينة، وهذا ما يؤكده عزيز الصمانجي بقوله: أدى استثمار حقول النفط الموجودة في كركوك إلى استيطان أعداد غفيرة من أبناء القوميات الأخرى ، وقد شكل الأكراد أكثرية القادمين، علماً بأن معظم الأشوريين والأرمن هاجروا منها بعد قيام ثورة تموز/ يوليو 1958, وقد تغيرت هذه الحال مع سياسة التعريب التي انتهجها النظام السابق .

الآفاق الواسعة التي ضرب فيها متوقعاً أن يذكرها له، لكنه لم يفعل ولم يفد أحدهم الآخر بشيء ، إلا أن كتابه هذا سيبقى دوماً منجماً لمعلومات لا نجدها في أي كتاب آخر". ويؤكد كمال إن أول الدلائل لتصويب ما جاء من "أخطاء" حول الوضع السكاني في كركوك، هو الإحصائيات الرسمية العراقية التي تدحض ما ذكره بطاطو . فمثلاً احصائية 1957 تؤكد بما لا يقبل الجدل بأن نسبة سكان كركوك من الكورد هي 48،8 % والعرب 28،2 % والتركمان 21،2 % أي على عكس ما ذكر بطاطو بأنه: "وبحلول عام 1959 كان الأكراد قد أصبحوا يشكلون ثلث السكان"، بينما الملاحظ أن الإحصائية أجريت قبل عامين من التقدير والتخمين الذي وضعه بطاطو، والمنطق يحتم علينا أن نعرف بأن عدد السكان في ازدياد مستمر مع تقادم الزمن وليس العكس [178] . ويقول : ومن الدلائل الأخرى التي تناقض ما جاء به الأستاذ بطاطو، هي ما ذكره بنفسه في الصفحة (81) ومايليها، وحسب الجدول رقم (5 - 3) عن العائلات الرئيسية المالكة للأراضي في العراق عام 1958، أو العائلات التي تملك أكثر من (30000) دونم من الأراضي، وقد خلا الجدول تماماً من ذكر اسم أية عائلة تركمانية في العراق، واقتصر فقط على ذكر الكورد والعرب، أما بالنسبة لكوردستان , يشير كمال الى إن بطاطو يذكر عائلة "بيكزاده" من عشائر الجاف، سنة أكراد، المساحة المملوكة بالدونم (539333) في السليمانية وديالى وكركوك، وجاء ذكر اسم السيد رستم السيد محمد كاكائي، أكراد (191039) دونم في كركوك، وكذلك الطالباني، سنة أكراد (137163) دونم في كركوك وديالى، وايضاً بابان سنة أكراد مستعربون" هكذا يذكرهم ـ مستعربون!! (81353) دونم في كركوك ديالى والحلة . كما يذكر أسرة الحفيد البرزنجي، سنة أكراد (71716) دونم قي السليمانية، وأحمد باشا، سنة أكراد، (52350) دونم في اربيل، وكذلك يذكر أسرة أحمدي خانقاه، سنة أكراد، (42351)دونم في كركوك، وميران بن قادر سنة أكراد (41584) في أربيل . هذا وقد خلا الجدول أيضاً من ذكر اسم أية أسرة عربية في كركوك أو السليمانية أو أربيل من ملاكي الأراضي الكبار. وفي الصفحة (91) من كتابه، يقول: "وفي الجبال الكردية ،إلى الشرق من طريق البريد، كان البابانيون المتمركزون في السليمانية يحكمون المناطق بين ديالى والزاب الصغير أو الأدنى، وكان السورانيون يحكمون المناطق الواقعة بين الزاب الصغير والكبير أو الأعلى، وكان البهدينانيون يحكمون الجبال إلى الشمال والشمال الشرقي من الموصل".أي جميع الأراضي التي تعرف بكوردستان "كوردستان العراق" وما يعنينا هنا من ذكر هذه الأسطر، يقول كمال :هو أن منطقة كركوك كانت تقع في قلب مناطق نفوذ حكم البابانيون الكورد. وفي فترات سالفة كانت كركوك تقع ضمن أملاك إمارة أردلان القوية التي حكمت زهاء ثمانمائة عام تقريبا[179] .

وفي هذا السياق , من نقوده العلمية , وفي تصديه لشخصية الملك فيصل الاول , يقول " ان هناك أمور كثيرة عن حياة ونشاطات الملك فيصل الأول , تحتاج الى تقصٍ أكثر ظهرت علائمه في العديد من البحوث , ويذكر : وقد طغى الانحياز غير

---

[178] **كمال , مقابلة معه , مكتبته الخاصة , آذار 2002**

[179] **كمال , مقابلة معه , مكتبته الخاصة , آذار 2002**

الموضوعي على قسم كبير من البحوث التي تطرقت الى هذا الجانب من اعمال فيصل الاول , لأنها نظرت اليه من زاوية انكليزية بحته , او من منطلقات مختلفة تشكل نواة الفكر السياسي الرجعي في البلاد , او بدافع التزلف للعرش , او لأنها اعطت بعض صفات الأمير الشخصية ونياته , طابع الشمول , او لأن اصحاب بعضها هم انفسهم من الذين تحملوا مسؤولية الاحداث معه , فيحاولون اضفاء طابع مثالي بحت على الدوافع والمحركات لأيجاد مبررات للعديد من النتائج المؤلمة180 . وفي ضوء بحثه في نشوء حركة التحرر الوطني العربي في دراسة سوفيتية وضمن مباحث كتابه " اضواء على قضايا دولية ", عرج على كتاب ل. م . كاتلوف " نشوء حركة التحرر الوطني في المشرق العربي (اواسط القرن التاسع عشر - 1908) وبعد استعراضه لمفاصل هذا الكتاب , استعراضاً علمياً , لم يغفل بيان ما يراه ثغرة في منهجيته , وهو بالتأكيد يندرج في سياق النقد العلمي . اذ يقول : ولكن على الرغم من ذلك , يحس في الكتاب بفراغ عدم استخدام بعض المصادر المهمة عن تلك الفترة , لاسيما تلك التي الفها بعض المشتركين في احداثها . وهنالك ايضاً بعض المصادر القليلة التي تلقي بالضوء على جوانب من الحياة الاقتصادية لهذا الجزء او ذاك من المشرق العربي كان بامكان المؤلف الاستفادة منها في درسه لنواحٍ مختلفة من مسألة اندماج الولايات العربية بالسوق الرأسمالية العالمية , ومن المصادر الأصلية المهمة التي لم تستخدمها الصحف العربية الصادرة في تلك الفترة , والمليئة بالمعلومات الطريفة عن سياسة السلطة العثمانية تجاه الولايات العربية وعن التحرك السياسي والاجتماعي في هذه الأخيرة وعن انعكاسات ثورة الأتحاديين في المشرق العربي . ولأن كان للمؤلف عذر في عدم توفر مثل تلك الصحف في المكتبات السوفيتية , فأنه لا يرى من عذر له في عدم استخدامه حتى لجريدة (الأهرام) المصرية التي تتوفر اعدادها القديمة هناك, وهي وان لم تطبع في المشرق العربي , الا انها كانت من اولى واهم جرائد الوطن العربي وفيها معلومات قيمة ايضاً عن الدولة العثمانية وعن ولاياتها العربية .

وفي الوقت الذي ينتقد فيه الدكتور كاتلوف من ناحية اهماله غير المتقصد لبعض المصادر المهمة , يؤكد مؤرخنا في الوقت نفسه , على حقيقة ان العبرة ليست في استخدام اكبر كمية من المصادر , بقدر كيفية استخدام تلك المصادر ووضع مضمونها في اطار عملي متماسك يعطي فكرة واضحة عن البحث , وهو ما وفق اليه الباحث بكل جدارة[181] . وحين تحدث عن اول اضراب عمالي حدث في العراق ضد الشركات الاجنبية , أكد ان المؤلفين العراقيين , كانوا قد اشاروا الى هذا الاضراب حين كتبوا عن الحركة العمالية في العراق ,لكن التقارير البريطانية والملفات السرية وكذلك الصحف المحلية , جميعها لم تتطرق الى هذا الحدث , تماشياً مع السياسة البريطانية المتبعة في العراق , بوصفها دولة محتلة وهي اشارة منه على الموقف البريطاني المعارض لهذا التحرك الجماهيري , وكدليل لالتزام

---

180 كمال , أضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط , ص145

[181] **كمال , أضواء , ص294**

الحكومة العراقية وقتذاك بالنهج البريطاني[182]. وحين تحدث عن الصحافة العمالية , اشار الى ظهور جريدة عرفت باسم (العمال) في مدينة الموصل مؤكداً على عدم امكان ادخال هذه الجريدة ضمن الصحافة العمالية , اذ لم يشترك في اصدارها او تحرير موادها عنصر عمالي . فيما يتقاطع كمال مع مؤلف كتاب " الصحافة العمالية في العراق " حين عد جريدة نداء العمال , امتداداً لصحيفة العمال التي صدرت في الموصل , لعدم توافق الجريدتين في مضمونيهما [183] . وحين تطرق الى الاجتماع الذي عقده البريطانيون والفرنسيون في كانون أول 1919 , بشأن دراسة الوضع في تركيا , اشار الى انهم بحثوا مسألتي كردستان والقفقاس وبهذا الخصوص , اشار الى ان الوثائق البريطانية الخاصة , كانت طافحة بالشواهد التي بامكانها وضع النقاط على الحروف بشكل لا لبس فيه . ويقول : غير ان المهم بالنسبة لمجال بحثنا , ان تلك الوثائق مليئة بالافكار المتضاربة الى حد الارتباك الواضح , فهي تتحدث في وقت واحد عن "الحكم الذاتي والاستقلال" وعن "تشكيل دويلات كردية" وعن "ضمان حدود آمنة لمسيوبوتاميا في الشمال" ورفض " الحماية الفرنسية او الانكليزية وكل اشكال الاشراف الاوروبي " و" ضرورة نيل بريطانيا حق الضمان لما يقرر للاكراد في جميع الأحوال[184] .

التحليل والاستنتاج في كتاباته :

لقد تميز الدكتور كمال مظهر في منهجه , بخاصية التحليل الدقيق ,حين لم يتعاط مع الرواية التاريخية, بقدر ما كان يعمد إلى تمحيصها وتسليط الضوء عليها , ليتسنى له فهم مقاصدها الخفية . ففي دراسته لتاريخ الطبقة العاملة في العراق مثلاً , أشار إلى أن دراسة المرحلتين التاريخيتين للطبقة العاملة العراقية , سيعطي فهماً مهماً للخلفيات الأساسية الاجتماعية والسياسية للطبقة العاملة في العراق , والتي لا يمكن بدونها تحديد واقع تلك الطبقة , وبيان تاريخ حركتها في الفترة التالية التي لا يكتنف الغموض جميع صفحاتها [185] . والى جانب ذلك , فأن حصيلة ما تمكن من التوصل إليه في كتابه " أضواء على قضايا دولية" هو تحديد خمس نقاط مهمة , أوجز فيها غائية الصراع الاستعماري , والمتمثل بفرض النفوذ مع انتهاء الحرب العالمية الأولى في منطقة الشرق الأوسط لا سيما الصراع من اجل سوريا , مؤكداً على أن من رحم الصراع الانكلو- فرنسي الدائر وقتذاك حول مستقبل سوريا برز نجم الأمير الذي غازل كلا الدولتين الاستعماريتين لحيازة ثقتهم . ومع ذلك , أخذ على الأمير فيصل, أنه لم يقدّر بشكل صحيح موقعه الحقيقي في خضم الصراع الدولي الدائر والمصالح الأساسية المحركة إياه [i186] وحين تطرق إلى بدايات التغلغل الأمريكي في الشرق الأوسط , أشار إلى أن هذا التغلغل جاء متأخراً قياساً والدول الأوربية الأخرى مبررا ذلك بعدم حاجة الرأسمالية الأمريكية بعد , لأسواق الإمبراطورية , ومنها أيضا قوة تغلغل وأطماع الدول الأوربية الكبرى , إلى جانب البعد الجغرافي وعدم تطور وسائط النقل بدرجة تقلل من تأثير هذا البعد[187]. وفي سياق هذه الخاصية في منهجه , تحدث عن كتاب " النفط وسياسة الولايات

---

[182] **كمال , الطبقة العمالية , ص126**
[183] **المصدر نفسه , 166**
[184] **كمال , كردستان في سنوات الحرب , ص342**
[185] كمال , **تاريخ الطبقة العاملة , ص9**
[186] **كمال , أضواء , ص182**
[187] **المصدر نفسه , ص21**

المتحدة الأمريكية في الشرقين الأدنى والأوسط " لمؤلفه ر . برانوف , مؤكداً أن قراءة هذا الكتاب من شأنه الكشف عن صور مذهلة جديرة بالاهتمام الكبير والتأمل الدقيق, فهو يرى أن قراءة هذا الكتاب , يضع القارئ بين زخم أرقام خيالية وخيوط متشابكة كنسيج العنكبوت وان بعض الحقائق الواردة في الفصل الأول , من شأنها أن تلقي بالضوء على أخطر الموضوعات التي تخص مدى تأثير تلك الاحتكارات على السياسة الأميركية الخارجية , وأساليبها لتحقيق مثل ذلك التأثير [188]. وبما أن الولايات المتحدة وأوروبا تشكلان سوقاً نفطية , فهو يرى أن المسؤولين العرب يفهمون بأنهم إذا استمروا في نزع ملكيات (شركات النفط ـ :ك .م), وإذا قاموا بمثل هذا العمل دون تعويض عادل , فأن النتيجة الحتمية لذلك , ستكون التنازل عن أسواقهم وإيجاد مصادر أخرى للطاقة[189]. وفي سياق حديثه عن مؤتمر باكو [190], أشار إلى أن الاهتمام بالعرب قد ازداد أثناء التحضير لهذا المؤتمر , سيما بعد قيام ثورة العشرين في العراق , بحيث أخذت مكانة مهمة في أول وثيقة أصدرها المؤتمر , إلا أن عاملين , حسبما يرى كمال قد أثرا سلباً في الموقف من العرب , هما عامل الزمن , حين لم يستطع معظم وفود بلدان الشرق من الوصول في الوقت المحدد , مما ضيع أصوات عديدة , فضلاً عن الموقف المتشدد الذي اتخذه الاستعماريون من المؤتمر ومحاولاتهم الجدية للحيلولة دون وصول المندوبين إلى مكان المؤتمر[191].

ومن الصفات التي ميزت منهجية مؤرخنا , هو الجرأة في طرح الأفكار , إلى جانب تناول الموضوعات المتعلقة بتاريخية الكرد , ونعتقد إنهما مزيتان لا بد من توفرهما لدى من يتصدى لكتابة التاريخ . فمن دونها , سوف لن يكون لدينا تاريخ متكامل من جميع الوجوه , إذ أن خشية الباحث من طرق بعض الموضوعات , من شأنه أن يضعه في أطار ينأى عن إدراك الحقيقة التي هي عماد البحث في أحداث التاريخ , فمن يقرأ الموضوعات التي عني بها كمال في مؤلفاته , فسوف يخرج بحصيلة من الأفكار والطروحات , قد لا يصل إليها البعض من المؤرخين , في وقت يعلم هو وغيره أن مصيدة السلطة وقتذاك فاعلة في رصد كل طرح يتناقض أو يتقاطع مع توجهات الدولة المؤدلجة بتوجه واضح يخدم مصالح النظام الحاكم , لا سيما إذا ما علمنا أن تلك التوجهات لا تقوم على سند علمي أو موضوعي في التعامل مع ظواهر التاريخ , التي تتحدث عن الرؤى السياسية والعقيدية . ولما كنا نعلم أن الحديث عن الطبقة العاملة في العراق , هو بمثابة حديث عن الفكر الماركسي , أو في اقل الأحوال يعد مؤشراً على تقبل ومساندة من يتصدى لمثل هذا الموضوع للفكرة الماركسية , فأن الدكتور كمال أوغل في تناول هذه الموضوعات , فأصدر كتابه " الطبقة العاملة العراقية , التكون وبدايات التحرك " بعد أن ألقى باللوم على المؤرخين العراقيين , لعدم تطرقهم لموضوعة الطبقة العاملة العراقية بوصفها تمثل ركناً أساسيا من أركان تطور حركة المجتمع العراق . ففي حديثه عن تاريخ الحركة العمالية في العراق , بحث في بدايات نشوء هذه الطبقة في العالم وذكر أن أول طبقة عاملة ظهرت في التاريخ , هي في ايطاليا حوالي القرن الخامس عشر , أشارة منه إلى أن ايطاليا قد شهدت أول ميلاد للعلاقات الرأسمالية الأوربية[192] .ومن المؤكد أن هذا التناول من شأنه أن يتيح مجالاً أوسع للقارئ على الاطلاع على التطور التاريخي لأي موضوع , يبغي إدراكه وفهمه , إذ سيتبين من خلاله, أهم الخطوات التي أسست لتلك الظاهرة مجال البحث , إلى جانب إدراك مستوى تأثير العوامل الخارجية والداخلية فيها ووجدناه فضلاً عن ذلك , لم يحيد عن فكرة الترابط العضوي لحلقات التاريخ , حين أكد على أن فهم الحاضر

---

[188] صفحات من تاريخ العراق المعاصر , ص147

[189] المصدر نفسه , ص148

190 مؤتمر باكو" اذربيجان" لمسلمي الشرق الذي انعقد في شهر سبتمبر عام.1920

[191] كمال , صفحات , ص209

[192] الطبقة العاملة العراقية , هامش ص15

يستدعي إدراك مغزى الماضي . فأصر على ملاحقة أي معلومة من شأنها أن تؤكد على هوية وانتماء مدينة كركوك إلى العنصر الكوردي , ليهيأ بذلك مجالاً رحباً لضمها إلى منطقة كردستان العراق . وهذا الأمر وجدناه متجسداً في كتابه " كركوك وتوابعها ..... " إذ نراه يبحث في ماضوية الأحداث المتعلقة بجذور مدينة كركوك , ليؤسس لفكرة , يؤكد من خلالها على ما يذهب إليه من انتماء المدينة للقومية الكوردية , فهو القائل: " من الثابت تاريخياً أن مدينة كركوك تم بناؤها من قبل اللوبيين , أو من قبل الخوريين , وهما شعبان أديا دوراً أساسيا في تكون الشعب الكوردي الحالي . كما أنهما أقدم شعبين معروفين سكنا كردستان , تربطهما صلات حضارية ولغوية قوية [193]. ووجدنا هذا الأمر , ينسحب على معظم الموضوعات التي يتصدى لها .

وأمام ذلك , فليس من الصعب على المتتبع للموضوعات التي تطرق اليها كمال , أن يدرك الاسلوب التحليلي الطاغي على كتاباته ـ كما اشرنا ـ بما يؤكده من صفة الأصالة في الكتابة , لا سيما وان دراسته وانفتاحه على المدرسة الغربية , كان له كبير الأثر على الاطلاع على ما يجري من تحديث لمناهج كتابة التاريخ , مما انعكس على تناوله لمواد أبحاثه التاريخية التي أتحفها بتحليلات واستنتاجات أخرجته في كثير من الاحيان عن الأطر التقليدية في كتابة التاريخ .

ومن مفيد القول انه ومن خلال قراءتنا للموضوعات التي تصدى لها كمال , اتضح لنا استقلاليته في كل كتاباته ، ففي معظم ما كتبه ، يشعر القارىء أنه أمام موضوع , وان سبقه احد في التطرق اليه , فهو طرح لم يعالج من قبل , فهو يؤكد إن الكثير من الاحداث التي تطرق اليها غيره هو الآخر كان قد تطرق اليها أيضاً , الا ان الفرق بين الأثنين ,انه اعتمد التحليل الى درجة كبيرة من اجل توضيح الاشياء وتصحيح الاخطاء ، فهو يؤكد ان الكثير ممن تصدوا لدراسة ثورة العشرين , قد عجزوا عن تحديد تاريخ صدور صحيفتي الفرات والاستقلال , جريدتا الثورة . بل ويرى أن موضوعة ثورة العشرين لم تعطى حقها لان هذه الثورة تحتاج الى العشرات من اطاريح الدكتوراه ومئات من رسائل الماجستير , وذهب إلى القول بأن ما كتب عن موضوعات الثورة الفرنسية على سبي المثال, سيوضح مدى الاهمال الذي اصاب تاريخية ثورة العشرين[194] .

لقد أراد كمال ملاحقة جل التطورات التاريخية للفكر الثوري لمنطقة الشرق الاوسط , والعراق خصوصاً متزامناً ، ومتفاعلاً ، مع تاريخ الحركة العربية الأولى . ومع تواصل مؤلفاته ، كان يروم متابعة نشأة الدولة , من وجهة نظر سياسية وفكرية حين تصدى في جل تلك المؤلفات لمظاهر الدولة السياسية , بما في ذلك الإنسان وسعيه الدائب على تحقيق ذاته وسط المعترك السياسي والفكري , فيكون المحرك الأساس في حركة التاريخ لديه ، وهو ما يمكن تلمسه ، حين نمعن النظر في ماهية موضوعات كتبه وبحوثه ، وتلمس قوة العامل الفكري والسياسي مما اهتم به , وكأنه يشيد بدوره , فيعطيه الريادة في توجيه العوامل الأخرى في سياق تناوله للمادة التاريخية ،وهو ما أسهم إلى حد بعيد في ديمومة هذه الحركة . ومع ذلك , فهذا الأمر لا يجيز لنا القول بأحادية العامل المؤثر في منهج كتابته ـ كما اشرنا الى ذلك ـ بقدر

---

[193] **كمال , كركوك وتوابعها , ص5**

[194] **كمال , مقابلة معه , نيسان 2002, مصدر سابق**

ما كان يثمن اثر هذا العامل وتفضيله في بعض نواحيه على العوامل الأخرى ، بدليل انه لم يتخل عن اعتماد العوامل الأخرى في تفسير الحدث التاريخي . كما أنه أعطى الشخصيات ، ادواراً مهمة في حياة الدولة السياسية والفكرية ، وترجم لمؤرخين ومثقفين ، ولم يجعل من هؤلاء عظماء في عصورهم ، بقدر ما وجد فيهم تجسيد حقيقي لعظمة شعوبهم ، وهو ما ينبأ بذلك بشديد احساسه بالتفاعل الذي يحدث بين المترجم وبين بيئته .

وأمام كل ذلك ، فليس من الممكن ان يأت مؤرخاً , مهما كانت جديته في مجال عمله ، بمنهج جديد يختص فيه ، بل يمكن القول انه سيسهم في ان يجعل من نفسه سائراً ضمن الحداثة في هذا المنهج ، وهذا ما يمكن تلمسه عند مؤرخنا كمال , حين اوجد لنفسه فلسفة خاصة به جعلت منه م دركاً لتاريخ الماضي , فأدرك من جراء ذلك , قيمة ما يكتب , فجاءت موضوعات كتبه , حساسة لدرجة ان اثارت عليه جملة ردود , صدر بعضها من جهات اكاديمية [195]. ومع ذلك , فنحن وبحكم تتلمذنا عليه لسنوات عدة , لم نفاجأ بطرحه هذا , لمعرفتنا بأخلاصه لمهنته , بوصفه مؤرخاً شغله الشاغل البحث عن الحقيقة التاريخية , والبوح بها , واذا صادف أحد وقال : ولما لم يصرح بموضوعة كتابه كركوك من قبل ؟ نقول ان مؤرخنا كانت لديه طروحات تفوق في خطورتها ما نحن بصدد الحديث عنه , ولم يتردد في طرحها , ومن على منابر التدريس , ولا سيما في مناقشاته للرسائل والاطاريح , ولن ننسى طرحه العلمي والخطير ازاء ما كانت تفعله لجنة" السلامة الفكرية" وما يتسبب من جراء تدخلها من تهميش وتضعيف والغاء وحذف لنصوص , حتى تظهر الرسالة متفقة وتوجه الحزب آنذاك واتذكر حينها , احد التدريسيات قد توعدته وهو على المنصة دون ان يسمعها , بأن ترفع عليه تقريراً الى مديرية المخابرات , وتعلمهم بكل طروحاته التي وصفتها بالمغرضة , فتدخلت حينها وطلبت منها ان تتفهم الموضوع من وجهة نظر علمية , فهو استاذنا جميعاً , وقد اثرانا بعلمه وحبه لوطنه من خلال تميزه وانجازاته العلمية , ومع ذلك فلا تلك التدريسية قد استجابت , بل ازدادت عناداً , ولا حتى الدكتور نفسه قد ارتد عن نهجه المؤسس على المواجهة المباشرة مع الحقائق , على الرغم من توسلي به وعليه يجب ان نعي ان طرحه لموضوعة كتابه " كركوك وتوابعها " لم يحمل في طياته , حسبما نعتقد الا ايمانه بقول الحقيقة التي يراها ويعتقدها , ولا شيء غير ذلك . وهذا ما يميز منهجه في كتابة التاريخ .

تقديمه لكتب الباحثين :-

وتماشياً مع ما يشكله اسم الدكتور كمال من أهمية وما يعنيه من علمية , لاسيما حين يقدم لكتاب معين . فقد تزاحم الباحثون على ان تتصدر مؤلفاتهم مقدمات يكتبها الدكتور . فكانت تلك المقدمات العديدة التي كتبها , تتضمن في الغالب تصويراً مركّزاً لموضوعات , مثلت مدار تلك الكتب ، أكثر منها مقدمات تقليدية ، تجامل المؤلف , وتثني على كتابه . ففي مقدمته لكتاب عبد الرزاق النصيري (نوري السعيد

---

[195] **على سبيل المثال , بعد صدور كتابه الجديد " كركوك وتوابعها " برزت ردود افعال , تباينت في طبيعتها ازاء طرح هذا الموضوع في مثل هذا الوقت .**

ودوره في السياسة العراقية حتى عام 1932) اراد رسم صورة السعيد بوصفه من كبار الساسة في العراق ابان العهد الملكي , حين اشار الى انه جمع بين صفات قلَّ من اجتمعت فيه، فإنه كان متزمتاً في مواقفه ، غير مستعدٍ للتخلي عما آمن به , لكنه- بالمقابل- كان مستعداً لولوج مئات الأبواب التي قد توصله إلى غايته ، فقد واءم في شخصيته بين المبدأية والمرونة على نحو فريد . وصفه خصومه بالتطرف ، مع أنه كان لا يرى نفسه إلاّ معتدلاً ، ودعا إلى ضروب من الإصلاح، لو نفذ أكثرها لكانت ثورة ، ولكنه لم يعد نفسه ثورياً ، وكم كان واقعياً في آراءه وطروحاته ، ولكنه كان يمتلك – مع ذلك-جرأة وحزم . ثم أنه لم يتردد في قبول مناصب مهمة في الدولة ، ولكنه خرج منها دون ان يلتفت الى الوراء , فناء بحمل ثقيل كلفه حياته ، فأثبت بذلك إمكان أن يكون المناضل الوطني سياسياً ، وان لم يحز على رضا الجميع فالسياسة ليست بالضرورة ، حكر على محترفيها الذين كانوا يدعون أنهم وحدهم من يعرف(لعبتها)"[196].

وفي مقدمته لكتاب (سياسة ايران الخارجية في عهد احمد شاه) لأسعد محمد زيدان الجواري , بدأ بوصف البيئة السياسية لأيران , مستوحياً جل التفاعلات السياسية من التأثر بالوضع السياسي الذي اوجده احمد شاه ، ثم تحول فجأة ليقرر" في مثل هذه البيئة ، ان الشاه كان محوراً لتلك التفاعلات , وهي حالة تسير في سياق ذلك العهد من ارتباط القاعدة بالهرم في شتى ميادين الحياة الساسية والاقتصادية[197] .

وفي تقديمه لكتاب الدكتور نضر علي أمين الشريف " محمد فهمي سعيد , الدور العسكري والسياسي في تاريخ العراق المعاصر " حاول أن يرسم صورة جلية لقصة شهيد حمل اسم الوطن , فأثنى على ما استرخصه الشهيد من غالي الأشياء , واشار الى ما اتصف به من سجايا حملته ليكون اهلاً ان يحظى بتكريم التاريخ له وقال عنه بعد ان قرأ الكثير عما قيل فيه : ((فقد بدا لي هكذا في ما قرأته من وثائق ومذكرات وشهود عيان ومصادر ومراجع اخرى , وفي ثنايا اقوال من عاصروه او عملوا وعاشوا معه , ان احداً لم يضاهه الا اخوه محمود سلمان , مما جعلهما قلباً وعقلاً وتصوراً , بل وحتى مصيراً واحداً في جسدين . ورأى ان هذه الشخصية عَبّرت ، من خلال سلوكها السياسي ، عن منعطف مهم في تاريخ العراق المعاصر ، منعطف عسير اختزن في دواخله كل تناقضات الماضي القريب ، وعن صراعات النزعات القطرية المنغلقة ، مع الحركة القومية العربية))[198] .

لقد وجدنا مؤرخنا وفي تقديمه للكتب مغايراً تماما لأنتقائه الموضوعات التي يتصدى لها في كتبه , فمن الواضح انه دائماً ينحاز الى الموضوعات التاريخية الساخنة لا سيما الفكرية منها , وهذا ديدنه حين يقحم قارئه وسط تحليلات واستنتاجات , لربما يشعر بها , وكأنها غريبة في تصوره , لأنه لم يعهدها من قبل , اما في تقديمه للكتب , فقد اختار على ما يبدو وهو قاصد لذلك الاختيار , ان تكون جل تلك التقديمات لشخوص , نعتقد انه من خلالها اراد التأكيد على اهمية الرجل العظيم في تاريخ بلاده فقدم لكتاب يتحدث عن دور أحمد شاه في بلاده وكذا الحال بالنسبة لرضا شاه , وعن

---

[196] أنظر تقديمه لكتاب النصيري , نوري السعيد ودوره

[197] انظر مقدمته لكتاب الجواري , سياسة إيران الخارجية

[198] انظر مقدمته , ص7 من كتاب نضر الشريف محمد فهمي

السياسي العراقي نوري السعيد وعبد الكريم قاسم ومحمد رضا الشبيبي وغيرهم , ولا نريد بذلك القول بأحادية نظرته لحركة التاريخ , بقدر ما اراد المزاوجة بين ادوار العوامل المحركة للتاريخ ,دون الالتفات الى عامل واحد .

خاتمه :

وكما عهدناه منذ السنوات الأولى لتتلمذنا على يده , فقد وجدناه متمسكاً ليس فقط بمنهجيته الصارمة المبنية على أساس تقصي الحقائق في التاريخ, بقدر ما ألفناه ملتزماً بمقومات الباحث الإنسان مما جعل من كتاباته وتحليلاته , متميزة بوضوح تام , لدرجة أن اوجد توجهاً لدى عدد من الباحثين, ممن راحوا يحذون حذوه في كتابة التاريخ .

ان كمال مظهر صاحب التجربة الأكاديمية الطويلة , أستطاع أن يمهد لمدرسة تاريخية تضم كل الأصوات الداعية لاعتماد الحقيقة الموضوعية في الكتابة التاريخية , بل أراد أن يكون واجهة ضد أي تيار يبغي تشويه التاريخ , لدوافع طائفية أو اثنيه أو غيرها . وهذا النهج المؤسس على قاعدة صحيحة , أدى إلى أن يكّون نهجاً مطلوباً لتسير على وفقه عملية التدوين بصورة متوازنة وصحيحة .

ولقد تلمسنا من خلال طروحاته الفكرية والتاريخية الكثيرة , انه وان لم يخلو من تأثير العاطفة على كتاباته , لاسيما عن تاريخ الكورد , ودفاعه اللامتناهي عن قضيتهم , فانه تمكن من تذويب تلك العاطفة , بحيث يُشعر القارئ بموضوعية الطرح وبفهم لواقعية سرده التاريخي , لا سيما وان ما طرحه من موضوعات , لم يتركها سائبة , بقدر ما عمد إلى محاورتها بتحليل علمي معتمداً على الحقائق التاريخية في ذلك الحوار . وهو بالتالي يعد من دعاة تعديل الانحرافات غير الموضوعية التي تكتنف دراساتنا التاريخية ومدى ضرورة أعادة النظر في عدد غير قليل من الأحكام التاريخية الشائعة غير المنصفة . ومع ذلك , وعلى الرغم مما أتسم به من الحيادية التاريخية , لدرجة أن ُعدّت ظاهرة من ظواهر النتاج المعرفي والثقافي العراقي الأصيل ، وهو ما يمكن أن يستشف في كتاباته التي تبدو أنها تختلف عن قناعاته الفكرية وكونها تنتمي إلى خنادق نقيضه للخندق الذي ينتمي إليه ، فانه لا يتفق و مبدأ من لم ينصرني فهو عدو لي , مؤكداً أن هذا التوجه لا يعنى به سوى من طوع التاريخ لرغباته ورؤاه السياسية مما سيسبب في تشويه وتلفيق أحداث التاريخ . وأخيراً نقول أن الدكتور كمال مظهر أحمد, نسخة قلما ستحظى مؤسساتنا الأكاديمية العربية بمثلها .

ثبت المصادر :

أولاً ـ مخطوطات :

من أوراقه الخاصة , مقتنيات مكتبته

ثانياً ـ رسائل واطاريح جامعية :

ـ صفاء عبد الوهاب المبارك , انقلاب سنة 1936في العراق 00 ممهداته وأحداثه ونتائجه)) , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة بغداد , 1973

ـ محمد هليل الجابري , الحركة القومية العربية في العراق بين 1908- 1914, اطروحة دكتوراه , كلية الآداب جامعة بغداد, 1980

ثالثاً ـ كتب مطبوعة :

أحمد ناجي :

- حكمت سليمان ودوره السياسي , بغداد ,2001

ـ عماد عبد السلام رؤوف , أربعون سنة في دراسة التاريخ وكتابته , النجف , 2005

- مجيد خدوري , حياته , آثاره , منهجه في كتابة التاريخ , بغداد ,2001

ـ وزارة حكمت سليمان الانقلابية سنة1936في الوثائق البريطانية , بغداد, 2002

جان دوست , الحديقة الناصرية في تاريخ وجغرافيا كردستان ترجمة وإعداد , دار آراس / أربيل , 2002

جمال أسد مزعل , نظام التعليم في العراق , مطابع جامعة الموصل , 1990

جون ماكدونلد كيز , رحلة الى اسيا الصغرى وارمينيا وكردستان عام 1818 , بيروت , 1955

دعد بو ملهب عطا الله , المسألة الأرمنية في النظام الدولي المعاصر , القضية الارمنية : تحديات و تطلعات , بيروت , 1996 -

علي سلطان , تاريخ سورية (1918-1920): , جامعة بروفانس , فرنسا ، 1987.

عباس إسماعيل صباغ , تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية , بيروت، دار النفائس1999 م

عباس إسماعيل صباغ , تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية , بيروت، دار النفائس1999 م

العظمة , نذير, المعراج والرمز الصوفي, دار الباحث , بيروت 1982م .

العلاف , إبراهيم خليل موسوعة المؤرخين العراقيين المعاصرين , تنشرها مجلة علوم إنسانية (الالكترونية) www.ulum.nl

قناتي كوردو , كوردناسي , لينينغراد , 1972م

قاسم محمود , مناهج البحث , مطبعة الأنجلو المصرية , القاهرة ,1963

كمال مظهر أحمد :

ـ انتفاضة عام 1925 , طبع دار كاوا للنشر , دت

ـ كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى , ترجمة محمد الملا عبد الكريم , ط2,بغداد , 1984

ـ دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر , بغداد ,1985

ـ صفحات من تاريخ العراق المعاصر , دراسات تحليلية , بغداد , 1987

ـ كركوك وتوابعها , حكم التأريخ والضمير, ج1, مطبعة رينوين , اقليم كردستان , 2004

محمد إسماعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني الخواجوئي (ت سنة 1173 هـ) , الدُّرَرُ المُلتَقطَةُ في تفسير الآيات القرآنية , جمعه ورتبه وحققه ، السيد مهدي ألرجائي ، دار القرآن الكريم , إيران , دت

مينورسكى , الاكراد ملاحظات وانطباعات , , موسكو ,1915

وليم كليفلاند , ساطع الحصري : من الفكرة العثمانية إلى العروبة ، بيروت : 1983

هيكل , محمد حسين (ت1956), مذكرات هيكل (مذكرات في السياسة المصرية) , القاهرة , 1958

خامساً ـ كتب الموسوعات :

ـ المطبعي , حميد , موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين (الجزء الأول ، بغداد ، 1995)

سادساً ـ صحف ومجلات :

- ألف باء (مجلة) , العدد 223, مايس 1985, بغداد
- الزمان (جريدة) --- العدد 1972 --- التاريخ 2004 - 11 -23
- طريق الشعب, العدد 71والعدد 213, 2005 و20 آذار 2006
- العراق , 21 تموز 2001
- المنار , 6آذار, 2006 , بغداد

المقابلات :

كمال مظهر أحمد , عديدة

مهند زكي صالح , مقابلة معه , 10 كانون ثاني / 1994, كلية الآداب , جامعة بغداد

Abstract

Kamal Ahmed is a manifestation of Kurdish and cultured, and one of the most important historians who represented the second generation of historians Iraqis pioneer in the contemporary history. Security lesson of history, and because people have a rigorous approach to tracking historical information, and dealing with them. It is the first student from the Middle East, received a doctorate degree Sciences (Nawok) Soviet Union. It scores literature in the history of Iraq together and published in Arabic, Kurdish and Russian, including: ((Kurdistan in the years of the First World War) (f) (the Iraqi working class: composition and the beginnings of movement) (f) (pages of the history of modern Iraq)), the latest ((Kirkuk and Vicinity: History and the rule of conscience) of the year 2004. Kamal has been able to establish Ahmed Mazhar, and through enriched by the Library of Arabic literature, falling for political thought and historical, including all the historic school votes calling for the adoption of a clear and highlight truth in the historical presentation